وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحيي فارس –المدية–
كلية الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربي

عنوان المذكرة:

ظاهرة تأكيد المدح بما يشبه الذّم من خلال النماذج القرآنية
–دراسة وصفية تحليلية–

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي

التّخصص: لسانيات الخطاب

–إعداد الطالبة:
شهرزاد دحماني

إشراف الدكتورة:
حورية مدّان

السنة الجامعية:1440هـ–1441هـ/2019م–2020م

إهداء

أهدي ثمرة نجاحي إلى من كلله الله بالهبة والوقار، إلى من علمني العطاء بدون انتظار، إلى من كلّت أنامله ليقدم لي لحظة سعادة، إلى من أزال الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم، أطال الله في عمره أبي الغالي عامر.

إلى ينبوع الحنان، إلى سندي وقوتي وملاذي، إلى اللتين سهرتا لأجلي سنينا، إلى من سهرتا على راحتي، إلى حبيبتا قلبي: أمي بختة، وأمي مسعودة.

وإلى الذين كانوا سبباً في وجودي في هذه الحياة: محجوب وبدرة.

إلى سندي في الحياة، إلى أنيسات روحي، إلى من شاركنني في الحياة بفرحها وحزنها: سناء، خيرة، نوال، صباح، زينب، فاطمة الزهراء، صبرينة، نسرين، أم النون وبناتها.

إلى أخي الوحيد وقرة عيني: محمّد.

وإلى براعم العائلة: إبتسام، صلاح الدين، عماد الدين، سراج الدين، لقمان، عبد الرحيم

وإلى كل عائلة "دحماني" ولكل من قربني من قريب أو بعيد.

إلى صديقتي ورفيقة دربي أم النون، وإلى أنيسي في الحياة محفوظ.

كما لا أنسى صديقاتي في الدراسة: كريمة، وهيبة، نجاة، بركاهم، ابتسام، خيرة، حسيبة، وإلى كل من وسعتهم ذاكرتي ولم يسعهم قلمي.

شهرزاد

شكر وتقدير

بداية، أشكر الله سبحانه وأحمده كثيرا على أن يسّر لي أمري للقيام بهذا العمل.

كما أتقدم بأسمى آيات الشكر والإمتنان والتقدير إلى الأستاذة الفاضلة "مدّان حورية" على توليها الإشراف على هذه المذكرة وعلى كل ملاحظاتها القيمة التي أضاءت لي سبيل البحث، فجازاها الله عنّي خير الجزاء.

دون أن أنسى شكر جميع أساتذتي الأفاضل.

وكذلك موظفي جامعتنا يحيى فارس، إداريين وأساتذة.

وإلى كل مَنْ ساعدني ولو بكلمة.

وإلى كل من خصّني بنصيحة أو دعاء.

أسأل الله أن يحفظهم وأن يجازيهم كل خير.

خطة البحث:

مقدمة:

الفصل الأوّل: ظاهرة تأكيد المّدح بما يشبه الذّم المفهوم والبلاغة.

المبحث الأوّل: مفهوم ظاهرة تأكيد المدح بما يشبه الذم.

المبحث الثاني: بلاغة ظاهرة تأكيد المدح بما يشبه الذم.

الفصل الثاني: دراسة ظاهرة تأكيد المدح بما يشبه الذم من خلال نماذج قرآنية.

المبحث الأوَّل: استخراج النماذج القرآنية وتوضيح مواطن ظاهرة تأكيد المدح بما يشبه الذم.

المبحث الثاني: تحليل الآثار الدلالية لظاهرة تأكيد المدح بما يشبه الذم وبلاغتها في المعاني القرآنية.

خاتمة.

مقدمة

مقدمة:

يُعد القرآن الكريم منبع العلوم، فهو كلام الله عزّ وجلَّ، المنزَّل على خاتم الأنبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ليتحدَّى به بُلغاء العرب، فكان كلاماً معجزاً في لفظه وساحراً ببيانه، ومبدعاً بأساليبه، ودقة نظمه.

ولقد كثُرت الدراسات عن معرفة ما يحمله القرآن الكريم من إعجاز في لفظه، وروعة أساليبه، ذات المقاصد والدلالات في الخطاب القرآني، فكان تركيز الباحثين والبلاغيين خاصة على استنباط واِستخراج الأساليب البلاغية والبديعية التي وردت في القرآن العظيم؛ وكيفية استعمالها في نظم النص القرآني، فهو خطاب معجز، مؤثر ومقنع.

ومن هذا المنطلق تمثّل مجال الدِّراسة في الجانب البلاغي، وخصّصناه لعلم البديع، نظراً لأهمية الأساليب البلاغية في القرآن العظيم، وارتأينا أن يكون موضوع بحثنا والذي وُسم بـ: ظاهرة تأكيد المدح بما يشبه الذم –من خلال نماذج قرآنية– دراسة وصفية تحليلية .

وسنحاول من خلال هذه الدراسة الإجابة عن الإشكالية التالية:

ما هي الوظيفة الدلالية لظاهرة المدح بما يشبه الذم في الصياغة القرآنية؟.

وهذه الإشكالية تتفرّع عنها التساؤلات التالية:

- ما هي ظاهرة تأكيد المدح بما يشبه الذم؟ وما هي أنواعها؟ وما سر بلاغة هذه الظاهرة في القرآن العظيم؟

- ما هي أسس أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذّم؟

- كيف أثرت هذه الظاهرة البلاغية في الخطاب القرآني؟

- أين تكمن أهمية هذه الظاهرة في نظم القرآن؟ وما هي مقاصدها؟

ومن الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار الموضوع، نذكر أنّ اختيارنا وقع على مدونة القرآن الكريم لما فيه من أساليب بلاغية ذات دلالة عميقة، ولأنَّه أرقى نص مثّل اللغة العربية في أرقى مستوياتها، كما أنّ لنا الشرف في دراسة هذا النص القرآني المقدس والعظيم، ثم إنّ معرفة الملامح والمقاصد الدلالية في المجال البلاغي لظاهرة تأكيد المدح بما يشبه الذم، من شأنه أن يجلي الكثير من مواطن الإعجاز القرآني من خلال الأساليب البلاغية، ولقد سبقت هذه الدراسة دراساتٌ أخرى من بينها: الظواهر البلاغية في سورة الملك–دراسة تفسيرية تحليلية لـ: خالد محمود قاسم.

والهدف من هذه الدراسة البلاغية في القرآن الكريم؛ هو الكشف عن أسرار هذا الفن البديع، بأساليبه المحكمة داخل الخطاب القرآني، تبيان مدى تأثيرها في المتلقي وجذبه وإقناعه، ولِما تحمله من أغراض بلاغية للخطاب القرآني في قمة الإعجاز.

وتمثلت خطة العمل في:

مقدمة مهدت لموضوع دراستنا، وفصل نظري معنون بـ: ظاهرة تأكيد المدح بما يشبه الذّم، المفهوم والبلاغة؛ واشتمل هذا الفصل على مبحثين: تناولنا في المبحث الأول مفهوم ظاهرة تأكيد المدح بما يشبه الذم(من الناحية اللغوية والاصطلاحية، وأنواعه، وشروطه)، وتَبِعه المبحث الثاني بعنوان: بلاغة ظاهرة تأكيد المدح بما يشبه الذم.

أمَّا الفصل الثَّاني وهو الجانب التطبيقي لبحثنا والموسوم بدراسة ظاهرة تأكيد المدح بما يشبه الذّم، من خلال نماذج قرآنية، وبدوره انقسم إلى مبحثين، الأوَّل يتضمن اِستخراج النّماذج القرآنية وتوضيح مواطن ظاهرة تأكيد المدح بما يشبه الذم، وأمّا الثاني فيتضمن تحليل الآثار الدلالية للظاهرة وبلاغتها في المعاني القرآنية.

وخُتمت دراستنا بمجموعة من النتائج أوردناها على شكل نقاط.

ولقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج الوصفي التحليلي فالوصفي لتقديم الظاهرة وتعريفها نظريا والإحاطة بأنواعها، أمّا التحليلي فقمنا باستخراج النماذج وتحليلها ومعرفة آثارها الدلالية في المعنى الخطابي للوصول إلى بلاغتها وتأكيدها إعجاز القرآن.

ولجمع وتقصِّي المعلومات عن هذه الدراسة اِعتمدنا مجموعة من المصادر والمراجع التي تخدم موضوع بحثنا، أوّلها القرآن الكريم لأنّه المدونة التي طبقت عليها موضوعنا، وبما أنّ القرآن يحتاج إلى تفاسير فاعتمدنا على: التحرير والتنوير الطاهر بن عاشور، تفسير الكشّاف للزمخشري، وتفسير حدائق الروح والريحان محمّد الأمين العلوي، معترك الأقران في إعجاز القرآن لجلال الدين السيوطي، وأمّا بالنسبة لكتب البلاغة فقد اعتمدنا على:

علم البديع لعبد العزيز عتيق، البديع في ضوء أساليب القرآن لعبد الفتّاح أحمد لاشين، الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني ومفتاح العلوم للسكاكي، وغيرها، وأمّا كتب النحو فارتكزنا على: معاني النحو لفاضل السامرائي، ومن المعاجم التي استندنا إليها: لسان العرب لابن منظور، ومعجم مصطلحات البلاغية لأحمد مطلوب والقاموس المحيط الفيروزابادي.

ومثل كل البحوث، اعترضتْ عملي جملة من الصعاب أذكر منها: تأثير وباء الكورونا في التنقل، وقصد المكتبة، ولقاء الأستاذة المشرفة. إلى جانب صعوبة الخوض في الشواهد القرآنية التي تتطلب تمحيصاً وحذراً.

وبفضل الله وتوفيقه، اِستطعنا تذليل الكثير من الصعاب، فله الحمد والشكر، من قبل ومن بعد. و كان للأستاذة المشرفة: الدكتورة حورية مدّان، دورها الكبير في دفعي إلى الأمام، وتشجيعي على العمل، والأخذ بيدي، فلها مني جزيل الشكر و والعرفان والتقدير والاحترام، وأدعو الله أن يحفظها ويزدها رقيا، وأن يديم علينا جميعا نعمة الصّحة والعافية.

الفصل الأوّل: ظاهرة تأكيد المدح بما يشبه الذّم(المفهوم والبلاغة).

المبحث الأوّل: مفهوم ظاهرة تأكيد المدح بما يشبه الذّم.

المبحث الثاني: بلاغة ظاهرة المدح بما يشبه الذم.

توطئة:

يُعتبر علم البديع من علوم البلاغة، إذْ يُعد عِلما قائما بذاته، ويأتي في المرتبة الثالثة بعد عِلم البيان وعلم المعاني، هو علمٌ مخالف للعلوم السابقة، إذ إنّ هدفه يسعى إلى تزيين وجمال وتحسين اللفظ والمعنى مع مراعاة الحال، يوضح ما لا يظهر في الكلام استدلالاً بما ظهر في الكلام وذلك للتوصل إلى معنى ذلك اللفظ، وعليه فإنّ هذا العلم خُصِصَ له كتاب من قبل الدكتور عبد الله بن المعتز وسمّاه «علم البديع»، وقسَّمه البلاغيون إلى محسنات لفظية أي تفيد تحسين اللفظ، ومحسنات معنوية خاصة بتحسين المعنى للوصول إلى نفس المتلقي والتأثير فيه، وعليه فإنّ لكل من هذه المحسنات المعنوية أساليب متنوعة ، إذ نجد أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم، وعكسه: تأكيد الذم بما يشبه المدح، فخصصنا بحثنا لأسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم الذي يُعَدُّ من الأساليب البلاغية.

وسيكون سعينا في هذا الفصل للوصول إلى مفهوم هذا الفنّ البديعي، ومعرفة أنواعه بمختلف أضربه مع الشواهد كما أننا سنتوصل إلى بلاغة هذا الأسلوب ومدى سره في التأثير في السامع وكيف اِستعمله المتكلم حتى يصل إلى مبتغاه، وهذا ما سنتناوله في هذا الفصل.

المبحث الأوّل: مفهوم ظاهرة تأكيد المدح بما يشبه الذّم.

أولاً: تعريف التأكيد والمدح والذمّ لغةً:

أ:التأكيد: تعني مادة وَكَدَ في لسان العرب: "وكَّدَ العَقْدَ والعَهْدَ: أَوْثَقَهُ، والهمز فيه لغة، يقال: أَوكدته وأَكَّدْتُه وآكَدْتُه إيكاداً، وبالواو أفصح، أي شَدَدْتُه، وتَوَكَدَ الأمر وتأَكَّدَ بِمعنَى، ويُقال: وَكَّدْتُ اليَمينَ، والهمز في العقد أَجْوَدُ، وتقول: إذا عَقَدْتَ فأَكِّدْ، وإذا حَلَفْتَ فوَكِّدْ... ووَكَّدَ الرَّجُلَ والسَّرْجَ توكيداً: شَدَّه والوكائد: السُّيور التي يُشَدُّ بها... ووَكَدَ المكان يكِدُ وُكُوداً إذا أَقَامَ به، ويقال: ظَلَّ مُتَوَكِداً بأمر كذا ومُتوَكِزاً ومُتَحَرِكاً أي قائماً مستعداً، ويقال: وَكَدَ يكد وكوداً أي أصاب، وَوَكَدَ وَكْدَّه: قَصَدَ قَصَدَه وفعل مثل فعله، ومازال ذاك وَكْدِي أي مُرادي وهمِّي، ويقال: وَكَدَ فلان أمراً يَكِدُه وَكْداً إذا مارسَهُ قصَده... ويقال: وَكَدَ فلان أمْراً يَكِدُهُ وَكْدَاً إذا قصَدَه وطلبه"[1]، ويفهم من قوله أن كلمة تأكيد أصلها وَكَدَ لأنَّها الأفصح في نظره.

وكذلك يُعرفه الفيروزابادي (ت817هـ) في نفس المعنى، وهو الشيء المقصود، فيقول: "وَكَدَ يَكِدُ وكُودًا: أقام، وقَصَدَ، وأَصَابَ، و– العَقْدَ: أَوْثَقُهُ، كأكده، والرَّحْلَ: شدَّهُ... والتوْكيد أَفْصَحُ منَ التأْكيدِ."[2]، فكان معناه مماثل لمفهوم ابن منظور.

وجاءت كلمة «وَكَدَ» في كتاب مقاييس اللغة بمعنى الشدّ والإحكام في قوله:" كلمة تدلُّ شدٌّ وإحكام، وأوكدْ عقدك، أي شُدّه... ويقولون: وَكَدَ، وّكَّدَهُ، إذا أمّنه وعُنيَ به"[3]

---

[1]– لسان العرب، أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، د ت، ج3، ص466 و467.

[2]– القاموس المحيط، مجد الدّين محمّد بن يعقوب الفيروزابادي، تح: أنس محمّد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، مصر، د ط، سنة1429هـ/2008م، ص1776.

[3]– معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر المجمع العلمي العربي الإسلامي، ج5، ص308.

ومن خلال هذه التعريفات الثلاث نتوصل إلى مفهوم التأكيد بمعنى التوثيق، وبعبارة أدق بمعنى توكيد الشيء، وأنّ التوكيد أفصح من التأكيد، والتأكيد للمعنى والوصول إلى القصد، وإصابة الهدف والمبتغى.

ب:المدح: تعني مادة مدح في المعجم: "نقيض الهْجاء وهو حُسْنُ الثَنَاءِ؛ يقال: مَدَحْتُه مِدْحَةً واحدة ومدحه يَمْدَحُه مَدْحاً ومِدْحةٌ، هذا قول بعضهم، والصحيح أن المَدْحَ المصدر، والمِدْحَةَ الاسم، والجمع مِدَحٌ"[1]؛ نلاحظ أنّ ابن منظور فرّقَ بين المدح والمدحة.

ويضيف الرافعي كذلك بقوله: "(مدحته) مدحًا من باب نفع أثنيت عليه بما فيه من الصفات الجميلة خلقية كانت أو اختيارية، ولهذا كان المدح أعمَّ من الحمد"[2]، وله معنى الاتساع كذلك في قوله: "_والأرض، _ والخاصرةُ: اتَّسعتا، كامْتَدَحَت"[3].

وجاء في معجم المفصل بمعنى الافتخار، بما يحمله الإنسان من محاسن يوصف بها بقوله: "وتمدَّح: افتخر بما ليس عنده... ومدح الإنسان: أحسن الثناء عليه"[4].

وما نستخلص من التعريف الاصطلاحي للمدح بأنّه خلاف الذم، فنلاحظ أنّ في معظم المعاجم التي تناولت فيها مادة «مدح» كلها تصبُ في معنى واحد، إذ توصلنا إلى أنَّ المدح هو حسن الثناء، وهو أعمّ وأشمل من الحمد، وهو صفة من صفات الإنسان ظاهرية كانت أم باطنية، وهو ما يتميز به و يتصف به من محاسن مميزة تلفت انتباه الذي يقوم بمدحه، وهو نقيض المدح.

---

[1]– لسان العرب (مرجع سابق)، ص590.

[2]– المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للعلاّمة أحمد بن علي المُقْري الفيومي، تح: د/ عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، د سنة، ص777.

[3]– القاموس المحيط (مرجع سابق)، ص1516.

[4]– المعجم المفصل في علوم البلاغة(البديع والبيان والمعاني)، د/ إنعام فوّال عكّاوي، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، سنة 1417هـ، 1996م، ص242،243.

بما أننا تعرفنا على معنى المدح فسنتناول الذم وكيف عرّفه اللغويون؟

ج:الذّم: "نقيض المدح، ذمَّهُ يذُمُّهُ ذمًّا ومذَمَّةً، فهو مذمُومٌ...والعرب تقول، ذمَّ يذُمُّ ذَمًّا، وهو اللوم في الإساءة...أذْمَمْته أي وجدته مذموماً، وأذمَّ الرجلُ: أتى بما يُذمُّ عليه"[1]، وكذلك نجد بمعنى العيب والقلة فيقول: "... والذُّموم: العيوبُ، وبِئرٌ ذمَّةٌ وذميمٌ وذميمةٌ: قليلة الماءِ"[2]، ومعنى هذا أنّ الذّم ضد المدح، إذْ يُعد من الصفات القبيحة والتي يُعاب عليها، وجاءت بمعنى الشيء القليل.

ويُضيف أحمد مختار في معجمه الذي يُعد من المعاجم الحديثة مفهوما مما زاده أكثر توضيحاً، فجاء بمعنى اللّوم والعيب والإساءة، وما يهجُو به من صفات مذمومة بقوله:"... ذمَّ الشخص: عابه، وهجاه، ولامه، وانتقصه واستحقره... ذمَّ خصمَه–استحق الذم– « قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ٢٢ ﴾

» **الإسراء:22**... أذمّ الشخص: أتى بما يُعاب عليه، ويُلام من أجله ، أمرُه مُذمٌّ ... أذمّ فلانا: أجاره؛ جاءه هارباً من العدو فأذمّه، وجده مذموماً... تذامَّ القوم: عاب بعضهم بعضا(أحفظوا ألسنتكم ولا تذامّوا حتى لا تتفرّقوا)... ذمّم فلانا: بالغ في هجائه ولومه، وكشف عيوبه (لمّا رأيت القوم أقبل جمعهم... يتذامرون كررت غير مذمّم"[3].

وما نستخلصه من تعريفات اللغويين أنَّ الذم خلاف المدح، وهو من العيب والإساءة والهجاء إذ إنه يحمل صفات قبيحة وسيئة.

---

[1]– لسان العرب (مرجع سابق)، ج12، ص220.

[2]– القاموس المحيط (مرجع سابق)، ص597.

[3]– ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار بمساعدة فريق عمل، دار النشر عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، سنة 1429هـ، 2008م، ص820.

ثانياً: تعريف أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم اصطلاحاً:

أ/ ماهيته:

هو أسلوب من أساليب البلاغية، يُعد من الأساليب المعنوية التي ترجع للمعنى وعدّه ابن معتز من محاسن الكلام عنده، وأنّ هذا الأسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم، يقوم على "بناء حكم معنوي موهم بخلاف المقصود ثم الاستثناء منه بما يثبت غرض المتكلم"[1]، فهو إذاً من الأساليب البلاغية التي ترجع للمعنى لغرض بلاغي واحد قصد الترسيخ والتأكيد والمبالغة وكذلك مباغتة المستمع بطريقة مختصرة ووجيزة تجعل فكر الإنسان مركزاً معه وبأسلوب طريف يرتاح له وفي نفس الوقت غريب لما يحتوي عليه .

ويُقصد بالمدح شبيه الذم عند الشيرازي، أن المدح فيه التأكيد فنشأ هذا التأكيد من وجود مدح قبل الأداة، ومدحه بعدها لهذا يُعد من تأكيد المدح بما يشبه الذم فمثله بقول: لا عيب في زيد إلاّ أنّه شجاع."[2]، وهذا في الأسلوب يبدأ المتكلم بنفي صفة العيب عن ممدوحه ثم يتوقف ويأتي بأداة استثناء حتى تجعل السامع يتوقف عنده فيتوهم أن الذي يأتي بعدها لفظ يحمل صفة ذم، كما جاء في كتاب البلاغة والتطبيق حدّ تأكيد المدح بما يشبه الذم بقوله: "وحدّه قائم على نفي صفة ذم أو صف مدح ثمّ يستثنى صفة مدح"[3].

ويظهر في تفسير الزمخشري أنّ تأكيد المدح بما يشبه الذم ليس خاصا فقط بالمدح والذم، وإنما له معانٍ أدبية تفيدها صفة النفي والإستثناء."[4]؛ بمعنى أن هذا الأسلوب لا

---

[1]- البلاغة والتطبيق، د/ أحمد مطلوب ود/ كامل حسن البصير، دار النشر جمهورية العراق وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ط2، سنة 1420هـ-1999م، ص446.

[2]- ينظر:البليغ في المعاني والبيان والبديع، أ/ الشيخ أحمد أمين الشيرازي، ط1،1498هـ ص375.

[3]- البلاغة والتطبيق (مرجع سابق)، ص446.

[4]- ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، د/ محمد حسن أبو مويى، دار النشر الفكر العربي، ص649.

يرتكز على المدح وحده فحتّى يكون تأكيد المدح بما يشبه الذم، لا بد أن يركز كذلك ويقوم على الاستثناء والنفي، وبكل من المدح والاستثناء والنفي يكتمل المقصود ويصل المعنى لذهن السامع.

ومن خلال البلاغيين يظهر أن لهذا الفن البديع لمسة خاصة وجمالية إبداعية تظهر في **المباغتة** وذلك من خلال النفي والاستثناء الذي يحصل في هذا الأسلوب ودليل ذلك قول الدكتور عبد الفتاح: "ومن هنا كان ذلك الأسلوب: تأكيد المدح بما يشبه الذم؛ أبهى وأفخم أنواع المدح، ولعل السر في ذلك نفي: هو ما في هذا الأسلوب من معنى المباغتة والمفاجأة التي تكسبه طرافة تثير حوله تنبها"[1].

فتجدر الإشارة هنا إلى أنّ تسمية هذا الفن البديعي « بتأكيد المدح بما يشبه الذم» قد نُظر فيه إلى الأعم الأغلب، وإلاَّ فقد يكون ذلك في غير المدح والذم ويكون من محسنات الكلام"[2]، كما أنّ هذا الأسلوب لم يكن غريبا عند العرب، لأنه مألوف لديهم فكانوا يستعملونه في كلامهم عندما يريدون الوصول إلى المبتغى، والمقصد والتأثير فيستعملونه .

ب/تسميته:

أمّا بالنسبة إلى تسمية هذه الظاهرة البلاغية، فلقد تنوعت وقد اختلفت فيه التسميات بين العلماء،

1-تأكيد المدح بما يشبه الذم:

[1]-البديع في ضوء أساليب القرآن، د/ عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د ط، 1419هـ، 1999م، 87.

[2]- في البلاغة العربية "علم البديع"، الدكتور عبد العزيز عتيق، دار الآفاق العربية القاهرة، مصر، ط1، سنة 1420هـ/ 2000م، ص128.

فأوّل من ابتكر هذا الأسلوب هو ابن المعتز(ت299هـ)، فذكره في كتابه البديع وسمّاه تأكيد المدح بما يشبه الذم؛ وبدليل كذلك شواهد البلاغين بأن هذا المصطلح جاء به ابن المعتز ومن بين الشواهد قول محمّد أحمد القاسم: "وأوّل من اهتدى إلى هذا الضرب من البديع عبد الله بن المعتز"[1]، ولكن لم يضع له تعريفاً شاملاً ولم يُفصل فيه أكثر، إذ إنّه وضع له شاهدين ليمثل له وسنذكره في أنواعه، كما نجد السكاكي(ت626هـ) تكلم عن هذا اللون البديعي بهذه التسمية وكذلك هو الآخر لم يتعمق فيه إذ وضع له شاهداً بعد العنوان فقط، أمّا أبو الإصبع(ت654هـ) فرّق بين الاستثناء وتأكيد المدح بما يشبه الذم، ففي كتابه التحرير والتحبير ذكر له أربعة شواهد شعرية أما من القرآن فيرى أنه لم يجد إلا آية قرآنية واحدة.

2-الاستثناء:

فنجد من البلاغيين مَنْ سمّى هذا الفن البديعي بهذا الاسم، فكان على رأسهم أبو هلال العسكري(ت395هـ)، وثم تبعه ابن رشيق القزويني(ت456هـ)، فلقد نظروا إلى هذا الأسلوب على أنه اِستثناء وليس بالاِستثناء النحوي، بحكم "أنَّ حُسنه المعنوي ناشئ من أثر أداة الاِستثناء التي بُنيَ عليها"[2]، كما اعتمد عليه كذلك أسامة بن منقذ(584هـ) بتسميته باب الرجوع والاِستثناء وهو "أن تذكر شيئا ثمّ ترجعَ عنه"[3]، وأعطى له أمثلة كثيرة، كما سماه كذلك من المحدثون أمثال الحاتمي وأصحابه بالاِستثناء، وسمي بهذا كمصطلح لأنّه يقوم أساسا على الاستثناء.

---

[1]- علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، دكتور محمّد أحمد قاسم ودكتور محي الدين ديب، دار نشر مؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس، لبنان، ط 1، سنة 2003، ص 93.

[2]- في البلاغة العربية "علم البديع"(مرجع سابق)، ص126.

[3]- البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، تح: د/ أحمد أحمد بدوي، ود/ حامد عبد المجيد، والمراجعة: الأستاذ إبراهيم، دار النشر القاهرة، د ط، سنة 1380هـ-1960م، ص120.

كما نجد تسميات أخرى **كالمدح في معرض الذّم**، هذا سماه صفي الدين الحلي(ت750هـ)، فذكر له شاهدين من شعر النابغة وديوان الحلي، وأُطلق عليه كذلك **النفي والجحود**، بدليل قول صفي الدين الحلي: "وسماه قومٌ «النفي والجحود» وهو من أنواع ابن معتز"[1]، وعُرف كذلك في كتب التفسير وخاصة ابن عاشور الذي يسميه **تأكيد الشيء بما يشبه ضده**، فكان ابن عاشور كلما وجد هذا النوع في الآية يستدل بشاهد البلاغيين ويسميه بهذا الاسم.

وخلاصة القول أن التسميات تعددت ولكن المعنى واحد يصب في أن هذا الأسلوب هو أسلوب بلاغي معنوي يحمل مدح الشخص في صورة الذم أو شبيهة بالذم، وأمّا الأنسب والأصح مع المعنى هو تأكيد المدح بما يشبه الذم، وهذا دليل على أن هذا الأسلوب كان متداولا بين الأدباء والشعراء والعرب كافة.

[1]– شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، صفي الدين الحلي عبد العزيز بن سرايا بن علي السنبسي الحلي، تح: د/ نسيب نشاوي، دار النشر صابر بيروت، لبنان، ط1، سنة 1412هـ-1992م، 305.

ثالثاً: أنواع تأكيد المدح بما يشبه الذم:

وهي ثلاثة أضرب عند أغلبية البلاغيين، لكن هناك من يقول هي ضربان وهناك أكثر من ذلك، فنجد الشيرازي مثلا يرى أنّ أنواع هذا الأسلوب خمسة أضرب"[1]، ومن هنا نذكر الأساليب الأكثر تداولاً وهي ثلاثة أضرب مع الشواهد وهي كالآتي:

أ-أن يُستثنى من صفة ذمٍّ منفية عن الشيء صفةُ مدح بتقدير دخولها في صفة الذّمّ:

يعتبر هذا الضرب في تأكيد المدح بما يشبه الذم، الأفضل والأحسن في نظر البلاغيين لِاشتماله على جذب المتلقي عن طريق مباغتته بطريقة عجيبة ولطيفة، للوصول إلى المقصد عن طرق التأكيد، إذ يعرفه أبو هلال العسكري بقوله: "هو أن تأتي معنى تريد توكيده والزيادة فيه فيستثني بغيره، فتكون الزيادة التي قَصَدتها والتوكيد الذي تَوَخّيته، في استثنائك"[2]، ففي أصل الِاستثناء أن يكون متصلا لكن في هذا النوع كان الاستثناء منقطعا تقديراً وهذا ما عُرف عند النحويين فعرف فاضل السامرائي الاستثناء المنقطع على أنّه: " هو ما كان فيه المستثنى ليس بعضاً من المستثنى منه ... يشترط فيه أن يكون جنسه مغايراً لجنس المستثنى منه"[3]، بمعنى أن الذي بعد الأداة (المستثنى) يكون خارج عن الذي قبل الأداة وهذا ليس في كل الأحوال، لأنّ "تقدير دخول ما بعد الأداة فيما قبلها ممكن، لكونه من الصفات العامة"[4].

وفي هذا الضرب نجد أن البلاغيين استدلوا بكلام العرب خاصة الشعر والتي نقف عندها حتى نفهم ونصل إلي جماليات هذه الظاهرة البديعية:

---

[1]- ينظر: البليغ في المعاني والبيان والبديع، أمين الشيرازي (مرجع سابق)، ص375.

[2]- كتاب الصناعتين(الكتاب والشعر)، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تح: د/ مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2008، ص319.

[3]- معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار النشر القاهرة، مصر، ط1، سنة 1423هـ،2003، مج2، ص214.

[4]-البديع في ضوء أساليب القرآن(مرجع سابق)، ص89.

– فأوّل مثال وهو المشهور بين البلاغيين والذي تَدَاوله أغلب الكُتَّاب؛ وهو قول النابغة الذبياني:

*ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ سُيُوفَهم * بهنَّ فُلُول من قِراع الكتائب"* [1]

فمعنى بيت النابغة هنا، هو أنّه ينفي صفة العيب أو الذم عن الممدوح وهي «لا عيب فيهم» ثم توقف فأتى بأداة اِستثناء «غير» التي جعلت السامع يستوقف نفسه فَشَعَرَ أنّ الذي بعد الاستثناء سيكون صفة ذم أخرى لذلك القوم لكن ليفاجأ بصفة مدح ، حتى يثبت نفي صفة العيب و يؤكد صفة المدح لممدوحه وهي «أنّ سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب»، وهذه ليست صفة ذم، فكان التأكيد في هذا الضرب من وجهين: أحدهما أنّ التأكيد فيه هو من جهة أنّه كدعوى للشيء ببينة وبرهان، كأنّه استدل على أنّه لا عيب فيه بأن ثبوت عيب لهم معلق بكون فلول السيف عيبا وهو محال، والوجه الثاني أنّ الأصل في مطلق الاستثناء الاتصال بمعنى أنّ المستثنى يكون داخلاً في المستثنى منه وفردا من أفراده"[2] لأنّ في هذا المثال مباغتة للسامع لأنه كان ينتظر أنّ الذي بعد الاستثناء هو داخل عن الذي قبله كما تعود عليه لكن توهمه كان عكسه "ومن هنا يجيء التوكيد لما فيه من المدح على المدح ومن الإشعار بأن المتكلم لم يجد صفة ذم يستثنيها فاضطر إلى استثناء صفة مدح وتحويل الاستثناء من متصل إلى منقطع"[3]، فكان لهذا الضرب الأفضلية وذلك أنّ تأكيد المدح "لإفادته من الوجهين"[4]

ونجد كذلك أمثلة متعددة في هذا الضرب التي تشبه قول النابغة، مثال ما جاء به عبد الغني النابلسي:

---

[1]– ديوان النابغة الذبياني، شرح عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، سنة، 1416هـ، 1996، ص32.

[2]–في البلاغة العربية علم البديع(مرجع سابق)، ص126.

[3]– في البلاغة العربية (مرجع نفسه)، ص127.

[4]– نفحات الأزهار على نسمات الأسحار، في مدح النبي المختار، شرح البديعية المزَريّة بالعقود الجوهرية، عبد الغني النابلسي، دار عالم الكتب بيروت، لبنان، د ط، د سنة، ص70.

ولا عيب في هذا الرشا غير أنّه * له معطف لدن وخد منعم"[1]

ففي هذا البيت أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم من النوع الأول، بحيث استثنى من صفة الذم المنفية صفة مدح وهذا لتأكيد نفي صفة العيب في الرشا وإثبات مدحه بصفة وهي «معطف لدن وخد منعم» واستعمل أداة الاستثناء غير.

ونستدل بالمثال الذي مثّلَ به صاحب كتاب معجم المفصل فمثّل له ببيت ابن حجّة الحموي من بديعته: (البسيط)

"في معرض الذّمّ إنْ رُمْتَ المديح فقُل * لا عيب فيهم سوى إكرام ضيفهم"[2]

معنى هذا البيت تأكيد المدح بما يشبه الذم، فاستدل بقولهْ: لا عيب فيهم بمعنى لا وجود لصفة عيب فيهم هنا نفى العيب بحرف النفي «لا» ثم أتى باستثناء ظن السامع وجود صفة عيب، فهنا قام المتكلم بتغير فكرته فكان ظن السامع مخالف وهذا التغير يجعل السامع يلتفت إليه وهنا يحقق المتكلم لوصوله إلى مقصده من هذه الجمالية التي أضاف قوله حتى يصل إلى التأثير في السامع.

كما نجد قول ابن الرومي(السريع) الذي استشهد به:

ليس به عيبٌ سوى أنّه * لا تقع العين على شبهه

فشرح هذا البيت الذي يدخل في باب تأكيد المدح بصورة الذم إذ بدأ ابن الرومي مدحه بأنّ كلّ عيب الممدوح أنْ ليس به عيب، مستخدما لفظ الاستثناء(سوى)، فأوهم السامع أنه تراجع عن تبرئة الممدوح من كل عيب، وأنه يكاشفه بعيب اكتشفه فوجب ذكره، غير أن ابن الرومي خدع سامعه حين أورد بعد الاستثناء مدحاً يفوق المدح الأول، ويؤكده حين قال: لا تقع العين على شبهه مبرأ من كل عيب، ولن ترى العين شبهاً له في كماله"[3].

---

[1]–نفحات الأزهار(مرجع سابق)، ص69.

[2]–المعجم المفصل في علوم البلاغة،(مرجع سابق)، ص243.

[3]–علوم البلاغة(البديع والبيان والمعاني)(مرجع سابق)، ص94.

– قول أبي هفّان الذي عدّه القيرواني من مليح هذا النوع:

ولا عيب فينا غير أنّ سماحنا * أضرَّ بنا، واليأس من كل جانب

فأفنى الردى أرواحنا غير ظالم * وأفنى الندى أموالنا غير عائب

ففي قول أبي هفّان يرى القيرواني أنه نفى عيب الضرر من السماح واليأس في الحقيقة، ولكن وكيد مدح، والمليح كل المليح قوله: وغير عائب فهذا الثاني أعجب من الأول وألطف موقعا"[1]، أي أن هذا المدح زاد المعنى لما احتواه المثال من لطف وملاحة فمثل لنا فنا بديعيا خاصا

–"وقال آخر:

ولا عيب فينا غير عرق لمعشر * كرام، وأنا لا تخط على النمل

فقصر من جهة قوله غير عرق لمعشر كرام لأنّ سبيل هذا الباب أن يؤثر فيه بما يظن أنّه عيب أو تقصير، وإن كان على التحصيل فخراً أو فضلاً"[2]

كما نجد أنّ أبا هلال العسكري استشهد بأبيات شعرية قوله:

ولا عيب فيه غير أن ذوي النّدى * خِساسٌ إذا قيسوا به ولئام"[3]

وهذا البيت مثل الأبيات السابقة، فهو كذلك من أسلوب تأكيد المدح بطرقة تلفت وتجذب السامع من خلال هذا الضرب الذي يأتي بصفة ذم منفية ويأتي بالأداة حتى يجعل السامع يركز ويستعمل عقله في إدارك المعنى المقصود بطريقة خلاّبة فيأتي بالمدح ليؤكد مدحه ويثبته وهو تأكيد من الجهتين.

يقول ابن نباته:

---

[1]– العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني أبو علي الحسن بن رشيق، ص238،239.

[2]– العمدة (مرجع نفسه) ص239.

[3]– كتاب الصناعتين(الكتاب والشعر)، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق: د/ مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2008، ص 320.

ولا عيب فيها غير سحر جفونها * وأحْبَت بها سَحَارةً حين تسحرُ"[1]

وجاء في هذا البيت الذي يتغزل بالمرأة بحيث كان مدحه يلبس أسلوب تأكيد الشيء بما يشبه نقيضه الذي جاء بطرقة غريبة في مدحه لها حتى يصل للمقصود وهو لفت انتباها وجذبها فنفى صفة العيب لهذه المرأة فيتوهم أنّ الذي بعد الإستثناء صفة مذمومة لكن إنبهر بوجود مدح وهو سحر جفونها.

ومثل الشيرازي في هذا الضرب يقول: "ليس زيدٌ بجاهل التصريف إلاّ أنّه أعلم بالنحو"[2]

وأعطى الدكتور حمدان مصطفى أمثلة لهذا الضرب: "القائد لم يخن وطنه، غير أنّه جريء، لا ذنب لي إلاّ العلا والفضائل،

كما أتى بقول شاعر:

ولا عيب في معروفهم غير أنّه * يبين عجز الشاكرين عن الشكر"[3]

فهنا استثنى من صفة العيب المنفية (عدم العيب في معروفهم)، ثم جاء بالأداة التي توهم السامع أنّ الذي بعده صفة ذم، لكن الشاعر جاء بخلاف ما توهم فكان لهذا أن اضطر المتكلم للإتيان بصفة الذم التي كانت خارجة عن الذي قبل الأداة، فكان الاستثناء منقطعا.

---

[1]–البديع في ضوء أساليب القرآن(مرجع سابق)، ص87.

[2]– البليغ في المعاني والبيان والبديع(مرجع سابق)، ص376.

[3]– أنهر البلاغة وحسن الصنيع في علمي المعاني والبديع، أ/ حمدان مصطفى، دار النشر القاهرة، مصر، ط1، سنة 1430هـ،2009، ص106و111.

ب-أن يُثبت لشيء صفة مدح، ويعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له:

وعُرف هذا النوع الجمال والحسن لكن مقارنة مع النوع الأول فهو أقل بكثير منه وهذا بسبب أنّ الأسلوب يفيد التأكيد فيه من جهة واحدة؛ وهذا راجع إلى "ذكر أداة الاستثناء قبل ذكر المستثنى يوهم إخراج شيء مما قبلها، فإذا ذكر بعد الأداة صفة مدح أخرى جاء التأكيد، ولا يفيد التأكيد من جهة أنّه كدعوى الشيء بالبرهان والدليل، كما في النوع الأول"[1]، عرّفه أبو هلال العسكري بأنّه "هو استقصاء المعنى والتحرز من دخول النقصان"[2]، أي بلوغ المعنى و صيانته حتى لا يكون ناقصا، "أمّا بالنسبة لعلاقة المستثنى منه بالمستثنى التقدير في الإِستثناء الانقطاع لكن العلاقة بينهما بقيت على حاله، فبقيَ الاستثناء متصلا وذلك من خلال أنّه استثنى صفة مدح مثبتة صفة مدح أخرى بعد الأداة، "إذاً لم يكن تقدير الإِستثناء متصلا في هذا الضرب فلا يفيد التوكيد إلاّ من الوجه الثاني، وهو ذكر أداة الاستثناء يوهم إخراج شيء مما قبلها من حيث أن الأصل في مطلق الاستثناء هو الاتصال، فإذا ذكر بعد الأداة صفة مدح أخرى جاء التوكيد"[3]، وكذلك أنه لم يحتوِ على صفة ذم منفية ، وأن الاستثناء بقي على أصله ولم يقدر.

وفي هذا الضرب الذي يؤكد المدح من جهة واحدة سنذكر بعض شواهده من بين ما وجدناه في كتب البلاغة حتى نبسط هذا النوع من تأكيد المدح بما يشبه الذم:

ومن أعظم الشواهد حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "أنا أفصح العرب، بَيْد أنِّي من قريش"، بَيْدَ بمعنى غير وهي أداة استثناء، فهنا كان التأكيد من جهة الثانية فقط، وهذا أنّ الاستثناء جاء متصلا عكس الضرب الأول، كما يظهر من الحديث الشريف أن النبي صلى الله عليه وسلم واستهل كلامه صفة مدح عن نفسه وهي أنه فصيح العرب ثم جاء بأداة استثناء « بيد» بمعنى غير حيث هذا الاستثناء دهش السامع بتوهمه أنّه سيأتي

[1]- البديع في ضوء أساليب القرآن(مرجع سابق)، ص88.

[2]- كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري(مرجع سابق)، ص320.

[3]- في البلاغة العربية علم البديع(مرجع سابق)، ص127.

بصفة غير محبوبة، لكنه أضاف صفة مدح أخرى أنه من قريش وقريش معروفة بفصاحتها، وهنا كان الأسلوب لتأكيد وإثبات الصفات التي امتدح بها فكان الاستثناء على حاله بعدما كان منتظر من أن يكون منقطعا فلا يفيد التأكيد من الوجهين إلا من الوجه الثاني. فتكون بلاغته أقل مقارنة مع الضرب الأول.

– ومثال الشيرازي في هذا الضرب الذي يمثل الضرب الخامس على حسب رأيه "زيد عالمٌ بالفنون إلاّ أنّه متبحرٌ في البديع"[1]، فقد صدر كلامه صفة مدح مثبتة وهي أنّه عالم بالفنون كما أضاف وزاد تأكيد مدح زيد بصفة جميلة وهي أنه متبحر في البديع.

– قول النابغة الجعدي (الطويل):

فتى كملت أخلاقه غير أنّه * جوادٌ فما يبقى على المال باقيا

ففي هذا البيت الشعري للنابغة الجعدي، فقد استهل كلامه بأن هذا الفتى عرف بكمال أخلاقه ولا تنقصه أي شيء فبدأ الشاعر، «سوى» أضافها بعد كمال أخلاقه فجعلت هذه الأداة يستوقف السامع عندها فينبهر من الذي بعدها فيكسر توقعه الذي أدركه في فكره فيجد صفة مدح أخرى وهي الجواد فهنا كان التأكيد للمدح فثبت.

وقول النابغة كذلك:

فتى كان فيه ما يسر صديقه * على أنّ فيه ما يسيء الأعاديا"[2]

"فكأنّه لما كان ما يسوء أعاديه لم يطلق أنسه يسر فقط، وذلك زيادة في مدحه، وليس هذا الاستثناء ما رابه النحويون فتطلبه بحروف الاستثناء المعرفية، وإنّما سمي اصطلاحا وتقريبا، سماه هؤلاء المحدثون نحو الحاتمي وأصحابه ولم يسم حقيقة."[3].

[1]– البليغ في المعاني والبيان والبديع (مرجع سابق)، ص276.

[2]–ديوان النابغة (مرجع سابق)، ص70.

[3]– العمدة (مرجع سابق)، ص238.

ج- أن يأتي الاستثناء مفرغاً:

عرّفه الدكتور عتيق بقوله: "أن يؤتى بمستثنى منه معنى المدح معمولاً لفعل فيه معنى الذّم"[1]، ويعرف بالمدح المفرغ، "لأنّ العامل الذي فيه معنى الذم والمتقدم على أداة الاستثناء قد تفرغ للعمل فيها بعد أداة الاستثناء وهو هنا المستثنى الذي فيه معنى المدح"[2].

"ذكر جرمانيس فرحات في كتابه «بلوغ الأدب في علم الأدب» فعرّفه وقال: «اعلم أن حقيقة هذا النوع هو أن يصف النّاظم ممدوحه بصفة حميدة يلزم منها المدح بصفة أخرى جديدة»

- كقول المتنبي:[المنسرح]

تُشرق تيجانه بغرّته * إشراقَ ألفاظهِ بمعناها

فمدحه أولا بالصباحة ثم تفرغ من ذلك فمدحه بالفصاحة، وقال أيضا:[الطويل]

نهيت من الأعمار ما لو حويتَه * لهنئت الدنيا بأنك خالد"[3]

- قوله تعالى:<< وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ۚ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ>> **الأعراف: ١٢٦**

"أي ما تعيب يا فرعون منّا إلاّ الإيمان الذي هو أصل المناقب والمفاخر"[4]

وفي هذا الأسلوب البديعي قد تأتي أدوات الإستثناء من مثل: ‹إلاّ، غير، «سوى» بمعنى «لكن» التي للاستدراك وعندئذ يكون تأكيد المدح بما يشبه الذم فيها من الضرب الثاني

[1]- في البلاغة العربية (مرجع سابق)، ص127.

[2]-البديع في ضوء أساليب القرآن (مرجع سابق)، ص87.

[3]- المعجم المفصل في علوم البلاغة(مرجع سابق)، ص643.

[4]-البليغ في المعاني والبيان والبديع(مرجع سابق)، ص 376.

الذي يتمثل في إثبات صفة مدح لشيء تعقبها أداة استثناء يكون المستثنى بها صفة مدح أخرى له"[1].

ويعرف عند النحويين بالاستثناء المفرغ، فيعرفه الدكتور فاضل السامرائي "وهو ما لم يذكر فيه المستثنى منه، نحو(ما حضر إلاّ سالم)... ولا يكون هذا الاستثناء عند أكثر النحاة إلاّ في غير الموجب، وهو المسبوق بنفي، أو نهي أو استفهام"[2]

"والاستدراك ب: «لكن» يجري مجرى الاستثناء في« تأكيد المدح بما يشبه الذم» وذلك كقول أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني يمدح:

هو البحر إلاّ إنّه البحر زاخراً * سوى أنّه الضرغام لكنه الوبل"[3]

فهنا «لكن» للاستدراك أفادت الاستثناء مثلما تفيده «إلاّ»، فمدح الشاعر ممدوحه بالكرم وثمّ مدحه بالشجاعة وذلك عن طريق أسلوب تأكيد الشيء بما يشبه نقيضه.

- "ومثل أداة الاستثناء في ذلك، أداة الاستدراك في قول الشاعر:

وجوه كأطهار الرياض نضارة * ولكنها يوم الهياج صخور"[4]

- ومثال من كتاب نفحات الأزهار في هذا الضرب:

هو الخير إلاَّ أنَّه الشهم ذو الذ كا * ولكنه بحر الندى المتلاطم

وأصل الاستثناء في هذا الضرب أن يكون منقطعا لكنه لم يقدر متصلا بل بقي على حاله من الانقطاع لأنّه ليس في هذا الضرب صفة ذم منفية عامة يمكن تقدير دخول

---

[1]- في البلاغة العربية (مرجع سابق)، ص128.

[2]- معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار النشر القاهرة، مصر، ط1، سنة 1423هـ-2003م، مج2، ص214.

[3]- الإيضاح في علوم البلاغة(المعاني والبيان والبديع)، جلال الدين محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 1، ستة 1424هـ، 2003م، ص282.

[4]- البلاغة والتطبيق (مرجع سابق)، ص446.

صفة المدح فيها فحينئذ لا يستفاد لتوكيد فيه إلاّ من الوجه الثاني من الوجهين المذكورين في الضرب الأول"[1]

[1]– نفحات الأزهار (مرجع سابق)، ص69 و70.

رابعا/شروطه:

أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم يستوجب فيه مجموعة من العناصر المكونة له ومن خلال ما خلصنا إليه من الكتب البلاغية فإن هذا الأسلوب له شروط حتى يكون أسلوبا بديعيا ليؤكد المدح بصورة الذم وهي كالآتي:

– أنّ هذا الأسلوب قائم على الاستثناء وأنّه عنصر أساسي في هذا الفن البديعي، يعرفه النحاة بأنّه: هو "الإخراج بإلاّ أو إحدى أخواتها لما كان داخلاً أو منزلاً منزلة الداخل منه"[1]

– أداة الاستثناء: ففي هذا الأسلوب البلاغي يستعمل أدوات الاستثناء وهي: إلاّ، وغير، وسوى، بَيد، ولكن للاستدراك؛ فصنّفه القزويني في "واعلم أنّ الاستدراك في هذا الباب يجري مجرى الإستثناء"[2]. فأداة الإستثناء لها دور فعّال في أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم؛ لأنها تجعل السامع يتوقف عنده فتشعره بوجود كلام معاكس لما قبلها، فكان لها دور في جذب السامع والتأثير فيه ومباغتته، إذ يرى "من البلاغيين أنّ الحسن المعنوي للاستثناء ناشئ من أثر أداة الاستثناء التي بُنِيَ عليها"[3]

– المستثنى منه: أو كما يسميه بعض النحويين المخرج منه، وهو الإسم الذي أُسند إليه حكم الإستثناء، وهو عنصر رئيسي في الاستثناء، وهو يأتي قبل الأداة وهو الذي يحمل صفة الذم المنفية أو صفة مدح مثبتة.

– المستثنى: هو الاسم الذي لم يدخل في حكم الاستثناء، وهو الذي يسمى كذلك المخرج يأتي بعد الأداة وهو الذي يأتي مخرجا عن المستثنى منه في هذا الأسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم.

---

[1]– معاني النحو(مرجع سابق)، ص212.

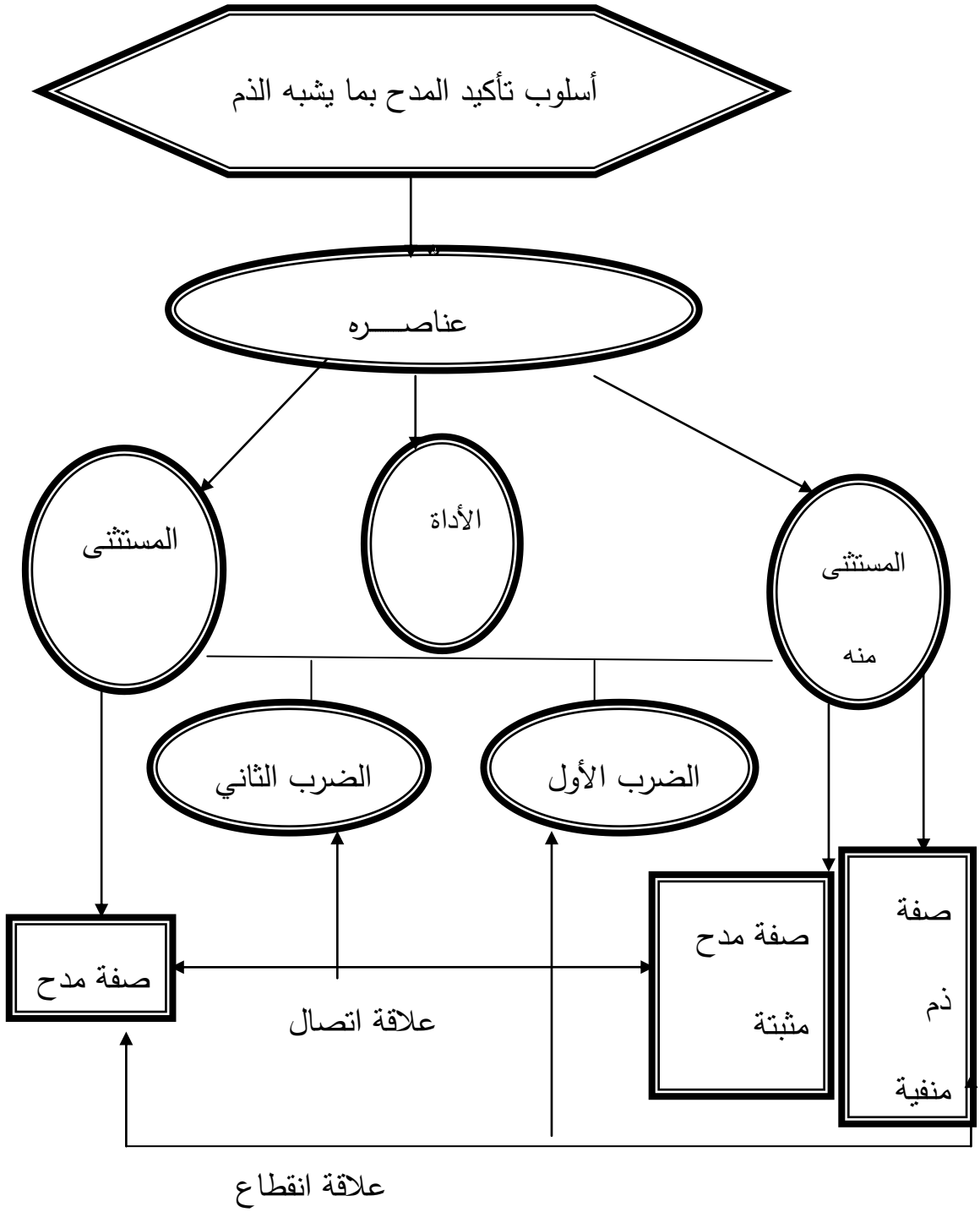
[2]– الإيضاح في علوم البلاغة(مرجع سابق)، ص282.

[3]– في البلاغة العربية علم البديع (مرجع سابق)، ص126.

كما أنّه يشترط في الصفة الذم المنفية بأداة النّفي أو النّهي بـ لا، لن، ما... وغيرها، كما نجد كذلك استعمال أداة استفهام لدلالة على النهي.

ونستخلص من هذا أنّ لأسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم ، له ثلاثة أضرب ولكل ضرب ميزة، إذ يُعد الضرب الأول هو الأفضل والأحسن، وذلك لإفادته لتأكيد من الوجهتين، والضرب الثاني أقل من الأول وذلك لتأكيده من جهة واحدة، وأمّا الضرب الأخير لما فيه من قوة جمالية، ومن هنا يظهر مبالغة هذه الأضرب لما فيها من سحر بديعي.

وفي هذا قمنا بعمل مخطط بسيط لهذا الأسلوب والعناصر التي تحتويه مع أضربه:



المبحث الثاني: بلاغة ظاهرة تأكيد المدح بما يشبه الذم.

احتل هذا اللون البلاغي تأكيد المدح بما يشبه الذم منزلة سامية في البلاغة العربية وذلك لما فيه من خلابة وطرافة تجذب انتباه السامعين وتخلع على الكلام ثوباً لطيفاً يخفي وراءه معنى قوياً مبالغاً فيه"[1]، إذ أن هذا الأسلوب يباغت السماع بطريقة طريفة وغريبة تجعله أكثر انتباها وتأثيرا عليه، لهذا العرب كانت تعتمد على مثل هذه الأساليب حتى تصل إلى الهدف المنشود والمقصود الذي يريدونه.

إذ يُعد أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم لون من ألوان البديع التي تقوم بلاغته بأضربه الثلاث، فإنّه يقوم على " تأكيد وتقوية في إثبات المراد مدحاً أو ذماً أو غيرهما"[2]، وذلك من خلال مباغتة السامع، وإذ أنَّ المتكلم حينما يذكر في كلامه صفة ذم منفية فيظن السامع ويتوقع أنه سيأتي المتكلم بصفة ذم أخرى استناداً لذكر أداة الاستثناء وذلك" بحكم الأداة التي تفيد أنَّ الذي بعدها يكون نقيضاً لِما قبلها حكماً ومفهوماً"[3]، إلى أنْ يسمع ويُفاجأ بصفة مدح، فإنّه يباغت ويقع في حالة الشعور بما طلع عليه من أمر توقع نقيضه وخلافه، وكذلك عندما يتلقى صفة ذم بعدها استثناء يتوقع ذم أخرى يشعر بخيبة توقع ويباغت بخلاف ما تهيأ له يقيناً"[4]، أي إنّ السامع يظن بعدما أوقفته أداة الاستثناء، لكن الملقي يغير له الفكرة عكس ما فكر به السامع وذلك لجعله يركز ويلتفت لما يقوله الملقي، "ليسحره بالبيان فيقلب الظن ويغير التفكير ويؤكد بصفة أخرى عكسه فيشعر

---

[1]– وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية، ذ/ عائشة حسين فريد، دار قباء للنشر والتوزيع بالقاهرة، د ط، سنة 2000م، ص134.

[2]– علم البديع(دراسة تاريخية وفنية للأصول البلاغية ووسائل البديع)، بسيوني عبد الفتاح فيود، درا النشر القاهرة، مصر، ط4، 1230هـ، 2015م، ص195.

[3]– البلاغة والتطبيق، د/أحمد مومن و د/ كامل حسن البصير، دار النشر العراق، ط2، سنة 1999م،1420م، ص448.

[4]– البلاغة والتطبيق، أحمد مومن(مرجع نفسه)، ص448.

بأسلوب جديد وطرف"[1]، أي أنه جاء بطريقة مخادعة له فجاء بكلام جديد عكس ما كان ينتظر فأثرت في نفسه وجعلته عقله يستفيق ويركز أكثر.

ومن هنا تكمن بلاغة في التأكيد المدح عن الممدوح، بطريقة المباغتة والمفاجأة، فيتحقق هذا "سواء أكان المستثنى منه مثبتاً أم منفياً، وسواء وُجِدَ المستثنى منه أم كان الاستثناء مفرغاً... سواء أكان الاستثناء متصلاً أم منقطعاً"[2].

ولقد توصّل البلاغيون إلى أنّ سرّ بلاغة أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم على أمرين هما:

فالأول: أنَّه كدعوى للشيء على بينة وبرهان ودليل، "حيث يستدل فيه على نفي العيب عن الممدوح بتعليق وجوده على المحال، لأنّ المتكلم علّق ثبوت العيب الذي هو نقيض المُدعي على كون استثنى عيباً، وكونه عيباً محال والمعلق بالمحال محال، فيكون ثبوت العيب محالاً وبذلك يلزم ثبوت نقيضه وهو عدم العيب"[3]،ومعنى هذا أن المتكلم بدأ بصفة مدح منفية أو مثبتة وظن السامع أن الذي بعده يكون من جنسه ،لكن خالفه وكانت صفة مدح التي تخالف تماما صفة الذم، فهنا محال أنْ يكون المدح عيباً وذماً، وهذا ما يظهر ويتجلى في الضرب الأوّل، فيعطي بسيوني مثال على هذا ويشرحه بقوله: لا عيب فيك سوى أنّك شجاع، فهنا استدل على نفي العيب عنك لكونك شجاعاً، والمعنى: لا عيب فيك سوى الشجاعة إن كانت الشجاعة عيباً، وكون الشجاعة عيباً محال، فثبوت العيب لك محال"[4]، ويوضح كذلك على الإثبات في الضرب الثاني عندما يبدأ المتكلم بصفة مدح مثبتة ثمّ يليها بعد الاستثناء صفة أخرى، فمثل له بقوله: "فتى كملت أخلاقه سوى أنَّه كريم، فإنّه يستدل على كمال أخلاقه لكونه كريماً، والمعنى لقد كملت أخلاقه إلاَّ من

---

[1]– وشي الربيع بألوان البديع(مرجع سابق)، ص134.

[2]–علم البديع، دراسة تاريخية (مرجع سابق)، ص229.

[3]– علم البديع (مرجع نفسه)، ص187.

[4]– ينظر: علم البديع(مرجع نفسه)، ص233.

شيء واحد وهو الكرم، رغم أنَّ الكرم ينقص من كمال الأخلاق، فهنا إثبات بأنَّه يتصف بكمال الأخلاق، فيكون الدليل والبرهان هنا أبلغ وآكد في الإثبات"[1]، وهنا كان للأسلوب بلاغة تعليق المحال بالمحال وبذلك إثبات نفي العيب؛ كما يبرهن كذلك بتأكيد إثبات الممدوح حتى لا ينقصه شيء .

وأمّا الثاني: فهو أنّ مطلق الإِستثناء هو الاتصال، وذلك أنّ يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، فإذا نطق المتكلم بأداة الإِستثناء توهم السامع قبل ذكر ما بعدها أنَّما يأتي بعدها مخرج مما قبلها فيكون شيء من الذم ثابتاً، فإذا جاء بعد الأداة صفة مدح وتحول الإِستثناء من الاتصال إلى الانقطاع جاء التأكيد لما في الإِستثناء من زيادة المدح على المدح، والإشعار بأنّه لم يجد صفة ذم يستثنيها، فاضطر إلى استثناء صفة مدح وتحويل الاستثناء إلى الانقطاع"[2]، وبهذا لما فيه من مباغتة ومفاجأة السامع بطريقة تغير فكرة ظن السامع وهي كسر التوقع فيأتي السياق عكس المتوقع بتأكيد صفة المدح وهذا النوع من الخلابة"[3]، فظاهر الكلام أوهم السامع أنه هو المقصد، لكن باطنه عكس ذلك تماما ، لما يباغت به المتكلم وذلك بإدخال أداة الاستثناء أو الاستدراك في مراوغة وتوهم وتباغت السامع فيكون المستثنى مغايراً ومخالفاً لما توقعه السامع، فيحدث بذلك التأكيد للمستثنى منه، ممّا تكسب المعنى طرافة وخلابة وتثير في النفس تنبيهاً"[4].

وفي هذا اللون البلاغي طرف من الخداع والخلابة، والمتمثل على عنصر المفاجأة والمباغتة، فتأتي النتيجة فيهما غير متوقعة وعلى خلاف ما تفيده المقدمات، وهذا يثير

---

[1]– ينظر: علم البديع دراسة تاريخية(مرجع سابق)، ص 234.

[2]– دراسات منهجية في علم البديع، د/ الشحات محمد أوستيت، دار النشر جامعة الأزهر، مصر، ط1، سنة 1994، ص187.

[3]– انعكاس المفارقة في الأساليب البلاغية، رقية رستم بورما و مريم غلامي، مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد4411، فريق1396هـ ش/2017م، ص 35.

[4]– ينظر: علم البديع، دراسة تاريخية(مرجع سابق)، ص234.

الفكر، ويوقظ العقل، ويستوقف النفس، ويدفع إلى التأمل و التدبر، والاندماج في خبايا الأسلوب لكشف الحقيقة"[1]

يظهر هنا أنّ للاستثناء دوراً كبيراً في أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم، إذ له دور فعّال، بحيث يستعمله المتكلم كوسيلة في إلقاء كلامه وهذا يدخل في تحسين الكلام وتزيِينه وخاصةً الجانب المعنوي، وذلك "يساعد على ربط الكلام، ويعمل على تقوية أواصر العلاقة بين مفرداتها بحيث يجعل ما قبله شديد الصلة بما بعده، بهما تكتمل الفائدة ويتحدد المراد"[2].

وإضافة لذلك نجد الدكتور بسيوني، "يرى أنَّ سرّ بلاغة هذا الأسلوب إنَّما هو تأثير على متلقي الأدب به، بما يحدث فيه نفساً من مدٍّ وجزرٍ، لقد شَبَّهَ مرسل الأدب في تأكيد المدح بما يشبه الذّم كممسك الخيوط في مسرح العرائس يحرك ما يشاء منها بالخيط غير المنظور في يده، أمّا مستقبل أدبه فإنّه بتموجات نفسه وترددها بين الاغتباط والإحباط، وعكسها كالعرائس نفسها تتحرك بجذب الخيوط لها حركات ليست من كسبها"[3].

[1]– علم البديع، دراسة تاريخية(مرجع سابق)، ص 195.

[2]– علم البديع (مرجع نفسه)، نفس الصفحة.

[3]– البلاغة الاصطلاحية، د/ عبده عبد العزيز قليقلة، درا الفكر العربي القاهرة، مصر، ط3، سنة 1412هـ، 1992م، ص316.

الفصل الثاني: دراسة ظاهرة تأكيد المدح بما يشبه الذم من خلال نماذج قرآنية.

المبحث الأوَّل: استخراج النماذج القرآنية وتوضيح مواطن ظاهرة تأكيد المدح بما يشبه الذم.

المبحث الثاني: تحليل الآثار الدلالية لظاهرة تأكيد المدح بما يشبه الذم

توطئة:

بعد ما تناولنا في الفصل النّظري مفهوم ظاهرة تأكيد المدح بما يشبه الذّم من الناحية اللغوية والاصطلاحية، وتوصلنا إلى أنّ هذا الأسلوب هو أسلوب بلاغي معنوي، عرفه البلاغيون القدامى والمحدثون، واستعملوه لتحسين الكلام وتزيينه وإعطائه حُلة جمالية لفظا ومعنى، سنتناول الجانب التطبيقي من بحثنا تسليط هذا الأسلوب البلاغي على مدونة عظيمة؛ والتي تُعد مقدسة بالنسبة لنا وللمسلمين كافة ألا وهي القرآن العظيم، فكان موضوع بحثنا فيه؛ لأنه يعتبر كلام الله المعجز في لفظه ومعناه والحجة البالغة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم تحدى بها فصحاء العرب ليعجزهم، فكان خطاباً موجهاً إليهم خاصة والناس عامة.

هذا الخطاب الذي يحمل في طياته سحراً بديعياً تعددت أساليبه التي اكتشفها الباحثون والمفسرون، اخترنا منها أسلوب تأكيد المّدح بما يشبه الذّم، فدراسة هذا الأسلوب البديعي في الخطاب القرآني من شأنه أن يكشف عن الآثار الدلالية التي يتسمّ بها هذا الفن البديعي فما الذي يضيفه إلى المعنى القرآني من توضيح وأثر بلاغي وجمالي؟ وما مدى بلاغته وتأثيره في السامع؟ ولماذا خصص هذا الأسلوب دون غيره؟ وكيف جعل السامع ينتبه ملفتا انتباهه؟ كل هذه التساؤلات سنجيب عنها من خلال استنتاجاتنا ضمن الجانب التطبيقي.

وكإجراء تطبيقي استخرجنا الآيات القرآنية التي جاءت بصيغة أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم، ومحل الشاهد للآية، ثم قمنا بتحليل تلك الآيات التي تم استخراجها من

القرآن الكريم لمعرفة المقاصد منها بطريقة بلاغية بديعية معنوية ودلالاتها ومدى تأثير هذا الأسلوب في المعنى القرآني، وهذا ما سنسعى إليه في هذا الفصل.

المبحث الأول: استخراج النماذج القرآنية وتوضيح مواطن ظاهرة تأكيد المدح بما يشبه الذم.

في هذا المبحث قمنا باستخراج واستنباط الآيات القرآنية التي جاءت بأسلوب تأكيد المدّح بما يشبه الذّم، وبينا مواطن الظاهرة البلاغية من كل آية، وقمنا بوضعها في جدول حتى نسهل العمل لمعرفة الآيات ومحل الشاهد منها، فقسمنا الجدول إلى خمس خانات (عدد الآيات، اسم السورة القرآنية، نوعها، رقم الآية، محل الشاهد من الآيات)، وهذا ما سنطرحه عليكم كالتالي:

رقم	اسم السورة	نوع السورة	رقم الآية	محل الشاهد من الآيات
01	النساء	مدنية	22	**وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ** إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلً
02	المائدة	مدنية	59	**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ** وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ
03	الأنعام	مكية	128	وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۚ **قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ** ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ

04	الأعراف	مكية	126	**وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا** لَمَّا جَاءَتْنَا ۚ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ
05	التوبة	مدنية	52	**قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ** ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ
06	التوبة	مدنية	74	يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ۚ **وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ** مِن فَضْلِهِ ۚ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ
07	التوبة	مدنية	110	**لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ** ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
08	مريم	مكية	62	**لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا** وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا

09	الحج	مدنية	40	**الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ** وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ
10	الفرقان	مكية	57	**قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ** أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا
11	الدخان	مكية	56	**لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ** ۖ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ
12	الواقعة	مكية	26-25	**لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا(25) إِلاَّ قِيلا سَلامًا سَلامًا**
13	الطلاق	مدنية	01	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ **لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ** وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا

14	الجن	مكية	23	**إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ** وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
15	البروج	مكية	08	**وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ** الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ

وما نخلص إليه في هذا المبحث، بعدما استخرجنا الآيات القرآنية وتحديد محل الشاهد منها لاحظنا أن الآيات التي فيها تأكيد المدح بما يشبه الذّم لم تكن كثيرة في السور القرآنية؛ وذلك راجع إلى استعمال الأسلوب المعاكس له، وهو تأكيد الذّم بما يُشبه المدح لأن هذا الأسلوب غرضه التهديد والتهكم والسخرية و إلى غير ذلك لأنه موجه إلى المشركين خاصة، أمَّا أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم فقد وجدنا خمس عشرة آية تحتوي على هذا، و على الرغم من قِلته إلاّ أنّه كانت له مقاصد سنتحدث عنها لاحقا، ولأنَّ هذا الأسلوب جاء لمدح الذين يؤمنون بالله والذين يحملون صفات مدح بطريقة تؤكد فيها المدح بما يشبه الذّم.

المبحث الثاني: تحليل الآثار الدلالية لظاهرة تأكيد المدح بما يشبه الدم وبلاغته في المعاني القرآنية.

بعدما استخرجنا محل الشاهد من الآيات القرآنية في المبحث الأول، سنشرع في هذا الجزء في تحليل الآثار الدلالية لأسلوب البلاغي (تأكيد المدح بما يشبه الذم)، وذلك باعتمادنا على كتب التفسير والبلاغة حتَّى نَصلَ إلى مَا نَصْبُو إليه لمعرفةِ الأثر الدَّلالي للأسلوب في السياق القرآني، ومعرفة المقصد من ذلك في المعنى وبلاغته فيها، كل هذا سيتضح من خلال تحليل الآية بالاعتماد على كتب التفاسير وخاصة اللغوية كتفسير ابن عاشور، حيث يتجلى لنا من خلال التحليل نوع الأسلوب وأثره الدلالي في الآية القرآنية.

سورة النساء:

- آية22:

<<**وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ** إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا>>

تحليل الآية:

يرى ابن عاشور أن هذه الآية نزلت للنّهي، وذلك أنّ الابنَ لا يَنكحُ زوجةَ أَبِيهِ بعدَ موتِه مِثلما كانَ في الجاهليةِ، فبدأَ بنهي(لا تنكحوا) "إذْ يُعد نهياً خاصاً مغلظًا، وهنا أوْهمَ السّامع له إن كنتم فاعلين منه فانكحوا ما قد سلف من نساءِ الآباءِ كأنّه سمَحَ لهم بَعضُه، فتفاجأ السامع أنّه لم يسمح لهم لأسباب وأعذار"[1]، وذلك من خلال الاستثناء(إلاّ ما قد

[1]- التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت1393ه)، دار النشر تونس، د ط، سنة 1984م،ج 4، ص 293.

سلف)، أي إلاّ نكاحاً قد سلف فتعيَّنَ أنّ هذا النِّكاح صار مُحرّماً فكانَ الإستثناءُ في هذه الآية مؤولاً لأنه يرجع إلى ما يقتضيه النّهي من الإثم؛ أي لا إثم عليكم فيما قد سَلَف، فيتأكد النهي"[1].

ويقول الزمخشري في هذا "يعني إنْ أَمكنَ لكم أنْ تنكحوا مَا قدْ سَلَف فانْكحوه فلا يحلُ لكم غَيْرُه، وذلك غيرُ مُمكن"[2]، هنا أسلوب تأكيد المّدح بما يشبه الذم، إذْ بَدأَ بِصفةِ ذّمٍّ منيفة ثمّ جاء بالاستثناء حتى يباغته ثم فاستثنى صفة مدحٍ وهذا يدخلُ في بابِ التعليقِ بالمحال، "فنُظِرَ فيها إلى الأعمِّ الأغلب، وإلاَّ فقد يكون ذلك من غيرِ المّدحِ والذّم ويكون من مُحسناتِ الكلام"[3].

نوع الأسلوب: الضرب الأول(أنْ يُستثنى من صفة ذمّ منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها في صفة ذم).

أثره في الآية:

ورد في هذه الآية أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم من الضرب الأول للتأكيدِ من الجهتين: كدعوة ببينة وبرهان لما هو معلق بالمحال، وأن أصل الاستثناء الاتصال، وهو استثناء منقطع، لأن جنس المستثنى ليس من جمس المستثنى منه، ومن هنا فالغرض الدلالي للآية الكريمة هو المبالغة في تحريم هذا النوع من النكاح؛ وهذا ما جاء به في

---

[1]– التحرير والتنوير (مرجع سابق)، ج4، ص293.

[2]– تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تح: خليل ين مأمون، تعليقات كتاب الانتصاف، دار المعرفة بيروت لبنان ، ط 3، سنة 1430هـ–2009م، ج5، ص229

[3]– التلخيص في علوم البلاغة ، الإمام جلال الدين محمّد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب، دار الفكر العربي، ط1، سنة1904م، ص381، وفي البلاغة العربية علم البديع، (المرجع السابق)، ص128.

قول الزمخشري: "والغرضُ المبالغةُ في تَحريمِهِ وسدِّ الطريق إلى إباحته"[1]، وذلك من خلال النهي الذي استهل به، مما أضاف هذا التأكيد المبالغة في المعنى، ولقد جاء الاستثناء منقطعا ليثري هذا الأسلوب البلاغي من "إثارة لطيفة وطرافة وتميزا"[2]؛ من خلال مباغتة السامع ، وجعل السامع يتوهم ويكون أكثر إصغاء لما سيأتي بعد أداة الاستثناء.

سورة المائدة:

- آية59:

<<قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ **هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ** وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ>>

تحليل الآية:

نزلت هذه الآية لمجادلةِ أهلِ الكتاب خُصوصًا اليهود على حدِّ قولِ اِبن عاشور، إذ يقول: "وكانت هذه الآية المجادلة لهم، بأن ما ينقمونه من المؤمنين في دينهم، إذا تأَمَلُوا لا يَجِدُونَ إلاَّ الإيمان باللهِ وبِمَا عِندَ أهلِ الكتابِ، وزيادةُ الإيمانِ بما أنزل على محمّد صلى الله عليه وسلم"[3]. إذْ إنّ هذه الآية جاءت بصيغة أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم، أي بمعنى: "هلْ تَعِيبونَ مِنَّا وتُنْكِرُونَ إلاَّ الإيمانَ بالكتبِ المنزلةُ كلُّها"[4]، فاِستَهلت الآية الكريمة باستفهامٍ إنكاري تَعجُبِي(هل)؛ الذي يُفيدُ معنَى النَّفِي، ومعنى تَنْقِمُونَ تُنكرونَ، فنَفَى هذه الصِفة المَّذْمُومَة، فظنَّ السامعُ أنَّ الذي سَيَأْتِي بَعد الاِستثناء كذلك صفة ذم لكنهُ وَجَدَ صِفةَ مدحٍ للمصدرِ المُؤَوَلِ(أنْ آمنا).

---

[1]- تفسير الكشاف (مرجع سابق)، ج 5، ص 229.

[2]- يُنظر:البديع في القرآن أنواعه ووظائفه، د. إبراهيم محمود دعلان، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب واللغة العربية وآدابها، حكومة الشارقة، الإمارات المتحدة، ط1، سنة 2002م، ص270.

[3]- التحرير والتنوير (مرجع سابق)، ج6، ص642.

[4]- تفسير الكشاف (مرجع سابق)، ج6 ص298.

ويرى السُيُّوطِي أنَّ "الِاستثناء بعدَ الِاستفهامِ الخارج مُخرج التوبيخ على ما عَابُوا به المؤمنينَ من الإيمان يُوهِمُ أنَّ ما يأتِي بعدهُ مِمَّا يُوجِبُ أنْ تَنْقِم على فاعله، ممَّا يُذم به، فلمَّا أتى بعد الاستثناء ما يوجب مَدْحَ فاعله كان الكلامُ مُتَضَمِناً تأكيد المدح بما يشبه الذم"[1]، والذي يَظهرُ أنْ يكونَ قولُه: وإنَّ أكثركُم فاسِقون معطوفا على أنْ آمنا بالله على ما هو المتبادرُ ويكونُ الكلامُ تهكُّمًا، أيْ تَنقمون منّا أنَّنَا كإيمانِكم وصَدَّقنا رُسلَكم وكُتُبكُم، وذلك نَقْمُهُ عجيبٌ وأنَّنا آمنا بِما أُنزِلَ إلينا وذلك لا يَهُمُّكُمْ وتنقمون منّا أنَّ أكثركم فاسقون، أيْ: ونحنُ صالحون، أي: هذا نقْمُ حَسَدٍ، أي: ونحن لا نملكُ لكم أن تكونوا صالحين، فظهرت قرينة التَّهَكم فَصَار في الِاستفهام إنكارٌ فتعجُّبٌ فتهكُّمٌ، تولِّد بعضُها عن بعضٍ وكُلُّها متولِّدةٌ من استعمال الاستفهام في مجازاته"[2]

نوع الأسلوب: الضرب الثالث: استثناء مفرغ

أثر الآية:

لقد جاء هذه الآية بصيغة أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم الذي أضاف إلى المعنى دلالة التعجب والإنكار، ودلالة التهكم وذلك من خلال الاستفهام، كما أن "الاستفهام خرج لمعنى التقرير والإثبات"[3]، فكان التأكيد من جهة واحدة، وهي الأصل في الاستثناء الاتصال

[1]– معترك الأقران في إعجاز القرآن، لابن الفضل جلال الدين عبد الرحمان أبي بكر السيوطي الشافعي(911هـ). تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، سنة 1408هـ،1988م، مج:1، ص298.

[2]– التحرير والتنوير(مرجع سابق)، ج6، ص 245.

[3]– البديع في القرآن وأنواعه ووظائفه (مرجع سابق)، ص271.

سورة الأنعام:

آية 128:

<<اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا **قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ** إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ >>

تحليل الآية:

اختلفت التفاسير في هذه الآية، فنجد ابن عاشور يُفسرها بأنّ هذه الآية نزلت لمخاطبة الإنس لأنّهم المقصود في هذه الآية، ومجيء القولِ بصيغة الماضي للتنبيه على تَحقيقِ وُقوعهِ وهو مُستقبل بقرينة قوله: «نحشرهم» كما تقدَّم"[1]، ومعنى «النَّار مَثْوَاكُم» أي: المقام عند النّحاس، وهي "المأوى والمنزل، و«خالدين فيها» بمعنى مَاكِثِينَ فيها مكثاً مُخلداً"[2] فهنا تهديد للمشركين الذين لمْ يُؤمنُوا بالله فَهُنَا المستثنى جاء صفة ذم ثم استثنى من الخالدين في النار «إلاّ ما شاء ربك»؛ وهنا اِستثناء "فريقاً شاءَ اللهُ أنْ لا يُخلدوا في النّار"[3]؛ والمعنى من تفسير ابن عاشور لهذه الآية، هو أنّ المشركين الذين كفروا عاقبهم الله بالمكوث في النار أبداً إلاَّ الذين يتوبون ويتراجعون ويُسْلِمُوا فلن يُخلدوا في النَّار، فهذا "الخطاب اِعتراض للمشركين الأحياء الذين يسمعون التهديد الذي خاطبه النّبي صلى الله عليه وسلم لهم"[4].

نوع الأسلوب: الضرب الثالث: استثناء مفرغ.

---

[1]- التحرير والتنوير (مرجع سابق)، ج8، ص70.

[2]- تفسير القرآن العظيم، أبو الفِراء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(700هـ-774هـ)، تح: سامي بن محمد السلامة، دار النشر طيبة، المملكة العربية السعودية، ط1، سنة 1418هـ-1997م ج3، ص330.

[3]- التحرير والتنوير (مرجع سابق)، ج8 ص71.

[4]- التحرير والتنوير (مرجع سابق)، ج8،ص71.

أثره على الآية:

لقد كان غرضُ هذا الأسلوب في هذه الآية تأكيداً لمشيئةِ اللهِ سبحانَهُ وتعالى وذلكَ منْ خلالِ الطرافة البلاغية والغرابة نتيجة المباغتة للسامع وتغييره ظنه إلى فكرة أخرى عكس التي سبقتها، والتأكيد من الجهة الثانية فقط.

سورة الأعراف:

آية 126:

<<**وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ** رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ >>

تحليل الآية:

نزلت هذه الآية حكاية عن سحرة فرعون الذين آمنوا بموسى عليه السلام يُخاطبون فيها فرعون، فيقولون: "وما تَعيب مِنّا إلاَّ الإيمان بآياتِ الله، أرادوا وما تَعيبُ مِنَّا إلاَّ ما هو أصلُ المناقبِ والمفاخرِ كلها وهو الإيمان"[1]، إذْ إنَّه بَدَأَ بِنَفي صفة العيب وهي الفعل (تنقم) بمعنى وما تعيب وما تنكر منا يا فرعون، ثم استثنى منه صفة مدح وهي الإيمان وهو مصدر مؤول من (أن آمنا) للفعل تنقم.

نوع الأسلوب: الضرب الأول ويحتمل الضرب الثالث وهو استثناء مفرغ

أثر الآية:

لقد جاء هذه الآية بصيغة أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم، فكان الاستثناء فيه مفرغا من الجهتين إذ أنه قام بمباغتة السامع ومفاجأته؛ لما أتى المستثنى فيه بخلاف الذي قبله المستثنى، فكان الغرض من هذا لتأكيد الإيمان بالله وإثبات نفي العيب.

[1]- تفسير الكشاف(مرجع سابق)، ج9، ص379.

سورة التوبة:

آية52:

<< **قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ** وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ>>

تحليل الآية:

نزلت هذه الآية ليقول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم للمنافقين « هل تتربصون» هنا جاءت بصيغة الإنكار التي دلَّ عليها حرف الاستفهام الدال على الإنكار والتعجب، وكذلك لدلالة على التقريع والتوبيخ، وتنتظرون « بنا» أيها الجاهلون «إلا إحدى الحسنيين» ويُقصد بها العاقبتين الحسنيتين: إمّا النصرة (الاستيلاء) أو الشهادة (الجنّة)، أي: ما تنتظرون بنا إلاّ إحدى الحالتين الشريفتين"[1]، فظاهر الكلام يظهر أنه توبيخ وإنكار للجاهلين لكن باطن الكلام فيه الفوز للمسلمين بإحدى الحسنيين وهي إمَّا النُّصرة في القتال لإعلاء كلمة الله فتكون عظمته وشأنه في الدنيا؛ وإمَّا الشهادة في سبيل الله والفوز بالجنّة، فهنا مدح للمسلمين وإثبات نفي العيب؛ فهنا مباغتة للسامع فحال «وهل تتربصون» كحال «وهل تنقمون».

نوع الأسلوب: الضرب الأول.

أثره في الآية:

إنَّ في هذه الآية أسلوباً بلاغياً لتأكيد المعنى الذي أراده الله عزّ وجلّ، وذلك مِن ألفاظ بسيطة لكن لها معنى آخر وذلك بطريقة مختصرة وموجزة في توكيد المعنى.

[1]– تفسير حدائق الروح والريحان في رَوَابي عُلوم القرآن، محمّد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَدِي الشافعي، إشراف: هاشم محمّد علي بن حسين مهدي، دار النشر طوق النجاة بيروت، لبنان، ط1، سنة 1421هـ-2001م ، ج11، ص389.

- آية 74:

<< يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا **وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ** مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِير>>

تحليل الآية:

يُفسر ابن عاشور هذه الآية أنّها جملة معطوفة على ما قبلها وهي ولقد «قالوا»، "أي: والحال أنّهم ما ينقمون على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على دُخول الإسلام المدينة شيئا يدعوهم إلى ما يصنعونه من آثار الكراهية والعداوة، والنقَمُ الاِمْتعَاضُ من الشيء"[1]؛ فمعنى الآية أنّ ما عابوا عليه وما استنكروه منّا إلاّ أنْ أغناهم الله ورسوله من فضله، وهو من نوع الأول إذْ أنّه نَفَى صفة الذم وهي النقم؛ ثم استثنى منه صفة المدح وهي الغِنَى فجاء هنا اِستثناء منقطع، يؤيد الشوكاني أنّ هذا النوع من الضرب الأول في معنى تفسيره "وما عابوا وما أنكروا إلاّ ما هو حقيق بالمدح والثناء وهو إغناء الله لهم من فضله"[2]؛ فاستشهد بدخوله من باب قول النابغة.

[1]- التحرير والتنوير (مرجع سابق)، ج10، ص270.

[2]- فتح القدير الجامع بين فَنَيّ الرواية والدِراية مِن علم التفسير، محمّد بن علي بن محمّد الشَوْكاني(1650هـ)، اعتنى به: يوسف الغُوش، دار النشر المعرفة ببيروت، لبنان، ط1، سنة1422هـ-2001م، ج10، ص586.

كما نجد أنّ هذا الإستثناء مفرغ لأنّه "من أعم المفاعيل أو العلل، أي ما كرهوا شيئا أو لأجل شيء إلاّ إنْ أغناهم أو لأجل أنْ أغناهم الله فهو اِستثناء متصل إذْ المفرغ لا يكون منقطعا فهو نظير قول النابغة لا عيب فيهم"[1] ومن خلال الاحتمالين نرى أن كلاهما صحيح لأن التأكيد فيهما من الجهتين والشيء الذي يختلف فيه أن الاستثناء ينبني على الإتيان بصفة دم منفية ثم أداة استثناء ثم يأتي بصفة مدح نقيض لما قبله أما المفرغ فيكون فيه المستثنى منه مصدر مؤولا كلاهما انطبقت على هذه الآية.

نوع الأسلوب: تحتمل الضرب الأول والضرب الثالث.

أثر الآية:

لقد كان لهذا الأسلوب بلاغة واضحة في إضفاء المعنى القرآني ودلك من خلال مباغتة السامع في تأكيد المدح إغناء الله ورسوله للمسلمين برزق كثير، يرى اِبن عاشور أن دلالة هذا الاستثناء هو التهكم من خلال قوله: "ونُكْتَتُهُ أن المتكلم يَظهرُ كأنَهُ يبحثُ عن شيء ينقضُ حُكْمَهُ الخبري ونحْوهُ فيذْكُرَ شيئا هو من مؤكدات الحُكْم للإشارة إلى أنهُ استقْص فلم يجدْ ما يُنقضُهُ"[2]

- آية 110:

لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ **تحليل الآية:**

[1]–حاشية القونوي، عصام الدين إسماعيل بن محمّد الحنفي (ت1195هـ)، على تفسير الإمام البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي ت685هـ، ومعه حاشية ابن التمجيد مصلح بن إبراهيم الرومي الحنفي ت 880هـ، تح: عبد الله محمود محمد عمر، دار النشر بيروت لبنان، ط1، سنة 1422هـ، 2001م،ج9، ص286.

[2]– حاشية القونوي (مرجع نفسه)، نفس الجزء، نفس الصفحة.

معنى لا يزال بنيانهم أي: المسجد الذي بُنِيَ لغرض فاسد، ونهى الله الصلاة فيه للرسول صلى الله عليه وسلم وللمسلمين"[1]، الريبة هي الشك والنفاق فنَفَى صفة الذّم واستثنى منه «إلاَّ أنْ تقطّع قلوبهم» أي: فقد يكون "التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة عنْها بمعنى إلاّ أنْ يتُوبُوا توبة تتقطع بها قلوبهم"[2]، فهنا ظاهر الكلام ينزع ذلك القلب من أجسامه وذلك بالقتل؛ لكن المعنى الباطني هو المُبتغى الذي يعني أنَّ التقطيع هو الرجوع عن الشك والنفاق في الدّين فيتوبون على ما فعلوه ندما وتأسفا.

كما نجد ابن عاشور يرى أنَّ هذا الإستثناء تهكُّمي، وهو من قَبِيل تأكيد الشيء بما يشبه ضده كقوله « ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سمِّ الخياط»، أي يَبْقَى ريبة أبداً إلاّ أنْ تقطَّع قلوبهم منهم وما هي بمقطعة"[3].

نوع الأسلوب: الضرب الثالث.

أثره في الآية:

لقد كانت هذه الآية تحمل أسلوباً بلاغياً، فكانت بلاغته واضحة في معنى الآية ممّا أضافت إليها جمالا وجلالاً للكلام، فظهر أنَّ هذا الفنّ زاد للمعنى تأكيدا وإثباتا من خلال المباغتة التي تظهر من الاستثناء الذي يقوم عليه فهذا الأسلوب البلاغي تأكيد المدح بما يشبه الذم أو كما يُعرف عند ابن عاشور تأكيد الشيء بما يشبه ضده .

سورة مريم:

آية 62:

<< **لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلامًا** وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا>>

[1]– ينظر: التحرير والتنوير(مرجع سابق)، ج11، ص36.

[2]– تفسير الكشاف (مرجع سابق)، ج11، ص450.

[3]– التحرير والتنوير(مرجع سابق)، ج11، ص36.

تحليل الآية:

نزلت هذه الآية لما تَتَصف به الجنّة ومما تنكر، " فاللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته"[1]؛ فاللغو صفة ذميمة لا يَتَصِفُ بها أهل الجنَّة، فمعنى الآية أنَّ أهل الجنّة "لا يسمعون إلاّ قولاً يُسلمون فيه من العيبِ والنقيصة على الاستثناء المنقطع"[2]، هنا يظهر أنّه نَفَى صفة الذّم وهي أنَّهم لا يسمعونَ اللّغو، فجعل السامع يظنُ أنّ الذي يأتي بعد الاستثناء هو صفة ذم لكن باغته، وجاء بخلافه وهو أنّ أهل الجنّة يسمعون السّلام، وهنا استثناء منقطع على حدَّ قولِ ابن عاشور والزمخشري، وقد يكون معنى السّلام هنا "الدعاء بالسلامة، ودار السلام هي دار السلامة، وأهلها عن الدعاء بالسلامة أغنياء فكان ظاهره من باب اللّغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الإكرام"[3].

نوع الأسلوب: الضرب الأول.

أثره في الآية:

إنَّ هذه الآية صيغت بهذا الأسلوب البديعي لغرض تأكيد المدح من الجهتين وإثبات نفي صفة الذم عن أهل الجنة.

سورة الحج:

آية 40:

<< **الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ** وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا

---

[1]– التحرير والتنوير(مرجع سابق)، ج 16، ص137، وتفسير الكشاف(مرجع سابق)، ج16، ص641.

[2]– تفسير الكشاف(مرجع نفسه)، ج16، ص641.

[3]– تفسير الكشاف، نفس الجزء، نفس الصفحة.

وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ>>

تحليل الآية:

يرى ابن عاشور أنّ "« بغير حق» حال من ضمير «أُخرجوا» أي أخرجوا متلبسين بعدم الحق عليهم الموجب أخراجهم، و«بغير حق إلاّ أنْ يقولوا ربنا الله» فإنّ إيمانهم بالله لا ينجر منه اعتداء على غيرهم، إذ هو شيءٌ قاصر على نفوسهم والإعلان به بالقول لا يَضُر بغيرهم، فالاعتداء عليهم بالإخراج من ديارهم لأجل ذلك، ظُلم بَوَاح واستخدام القوة في تنفيذ الظُّلم"[1]، تتحدث هذه الآية عن المهاجرين الذي أخرجوا من ديارهم بغير حق وهم مظلومين من قِبل المشركين، فهذه الآية جاءت بأسلوب بديعي وهو تأكيد المدح بما يشبه الذم، "فقد أثبت صفة مدح للمهاجرين وهي أنّهم أخرجوا من ديارهم بغير حق مغلوبين على أمرهم؛ ثم استثنى بعدها بأداة استثناء فأشعر ذلك وأوهم أنه سيأتي بصفة ذم بعدها، ولكنه وصفهم بأنهم مؤمنون بالله، وهذا من صفات الكمال"[2]، فجاء هذا التأكيد مدحا على مدح(مستثنى صفة مدح + أداة الاستثناء+ مستثنى منه صفة مدح)

نوع الأسلوب: الضرب الثاني وقد يحتمل الضرب الثالث وهو الاستثناء المفرغ.

أثره في الآية:

إذْ أنّه جاء هذا الأسلوب في معنى الآية لإثبات تأكيد مدح المهاجرين المؤمنون، من خلال مباغتة السامع بحيث أنّه توهم بعد صفة المدح وهي الحق أنّ الذي بعد الاستثناء سيستثني صفة ذم لكن وجد خلاف ما توَهم وهي قول المهاجرين ربنا الله، وهنا الاستثناء جاء متصلا، كما يضيف ابن عاشور "كان هذا الاستثناء مستعملا على طريقة

[1]– التحرير والتنوير(مرجع سابق)، ج17، ص277.

[2]– وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية(مرجع سابق)، ص 132.

الاستعارة التهكمية، أي إنْ كان عليهم حقٌ فهو أنْ يقولوا ربنا الله، فيستفاد من ذلك تأكيد عدم الحق عليهم بسبب استقراء ما قد يُتخيل أنّه حق عليهم"[1].

سورة الفرقان:

آية 57:

<< **قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ** إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا>>

تحليل الآية:

"وَالْأَجْرُ: الْعِوَضُ عَلَى الْعَمَلِ وَلَوْ بِعَمَلٍ آخَرَ يُقْصَدُ بِهِ الْجَزَاءُ"[2]، لقد استثنى من الأجر فعل من شاء؛ ففسره الزمخشري "أن الاستثناء من الأجر قول: ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال ما أطلب منك ثوابا على ما سعيت إلاّ أن تحفظ هذا المال ولا تضيعه، ولكن صوره هو بصورة الثواب وسماه باسمه"[3]؛ فهنا جاء بنفي صفة المدح فأوهم السامع أن الذي بعده ذم لكنه جاء بصفة مدح، فجاء الاستثناء متصلا تقديرا لأن المستثنى منه من جنس المستثنى، وهما مدح على مدح.

نوع الأسلوب: الضرب الثاني: (صفة مدح مثبتة ثم يستثني صفة مدح أخرى).

أثره في الآية:

"والِاسْتِثْنَاءُ تَأْكِيدٌ لِنَفْيٍ، وَالِاسْتِثْنَاءُ مِعْيَارُ الْعُمُومِ فَلِذَلِكَ كَثُرَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ أَنْ يُجْعَلَ تَأْكِيدُ الْفِعْلِ فِي صُورَةِ الِاسْتِثْنَاءِ"[4]، فجاء التأكيد من جهة واحدة فقط كدعوى ببينة وبرهان.

---

[1]– التحرير والتنوير (مرجع سابق)، ج17، ص277.

[2]– التحرير والتنوير (مرجع سابق)، ج19، 58.

[3]– تفسير الكشاف(مرجع سابق)، ج19، ص750.

[4]– التحرير والتنوير (مرجع سابق)، ج19، ص58.

سورة الدخان:

آية 56:

<< **لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ** وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ >>

تحليل الآية:

نفى ذوق الموت قبل دخول الجنة ثم استثنى ذوق الموتة الأولى؛ "بمعنى لا يذوقون فيها الموت البتة فجاء بالاستثناء إلاّ الموتة الأولى، فالموت الماضية لا يستطيعون ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال، كأنه قيل: إن كانت الموتة الأولى يستقيم ذوقها في المستقبل، فإنَّهم يذوقونها"[1]، ويقول ابن عاشور أنّ الاستثناء في إلاّ الموتة الأولى هو "لزيادة تحقيق انتفاء ذوق الموت من أجل الجنّة فكأنه قيل لا يذوقون الموت البتة وقرينة ذلك وصفها بـ: الأولى والمراد بها السالفة"[2]، ويوضح الشوكاني أكثر فيرى "الاستثناء منقطعاً أي: لا يموتون فيها أبدا إلاّ الموتة التي ذاقوها في الدنيا"[3]، كما أنّ إلاّ جاءت بمعنى سوى.

نوع الأسلوب: الضرب الأول

أثره في الآية:

جاءت هذه الآية بصيغة هذا الأسلوب للتذكير بالموت الأولى، ولتأكيد أنه لن يذوقوها مرة أخرى أصحاب النعيم، وتُضيف كذلك للمعنى أنّ أهل الجنّة لا يذوقون الموت أبداً، وذلك من خلال تأكيد مدحِهم من خلال هذا الفن البديعي الذي له أثر كبير في إبراز دلالات الآيات القرآنية.

---

[1]– تفسير الكشاف(مرجع سابق)، ج23، ص94.

[2]– التحرير والتنوير(مرجع سابق)، ج25، ص 319.

[3]– فتح القدير(مرجع سابق)، ج25، ص1355.

سورة الواقعة:

آية 25-26:

<< **لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا** >>

تحليل الآية:

نزلت هذه الآية في وصف أهل الجنة ووصف نعيمها "بقوله: « لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلاّ قيلا سلاما سلاما» وهي نعمة روحية فإنّ سلامة النفس من سماع ما لا يُحَب سماعه ومن سماع ما يكره سماعه من الأذى نعْمة لراحة البال وشغله بسماع المحبوب، واللغو هو الكلام الذي لا يعتدّ به كالهذيان، والتأثيم هو اللّوم والإنكار، و« فيها» ضمير عائد إلى جنات النعيم"[1]، فنفى صفة الذم عن الجنة وهي لا يسمعون في الجنة لغوا ولا تأثيما وبعدها ظن السامع أن الذي بعد هذا سيكون ذما لكن وجد صفة مدح وهي أنّ أهل الجنة نعمة السماع هي السلام، ولأن اللغو والتأثيم صفتان مذمومتان والسلام محال أن يكون عيبا، هنا كان مباغتة للسامع مما يعد هذا الاستثناء منقطع، فأثبت النفي وتأكد المدح فكان التأكيد من الجهتين.

نوع الأسلوب: الضرب الأول

أثره في الآية:

كان غرض هذا الأسلوب في الآية الكريمة لإثبات النفي وتأكيد المدح، وذلك أنّ الجنّة لا وجود فيها لشيءٍ من الصفات الذميمة، وجاءت الكلمات بصيغة التنكير(لغو، تأثيم، سلام) لتقرير انتفاء حديث أهل الجنة من اللّغو والتأثيم الذي لا يُعَنِّد به وتثبيت السلام"[2]، وذلك لدلالة التعظيم بتقرير النّفي والإثبات.

---

[1]- التحرير والتنوير(مرجع سابق)، ج27، ص296.

[2]- مذكرة تخرج دلالة صيغة التنكير في سورة الواقعة، 46 -33: (46).NUSH.2015.

سورة الطلاق:

- آية01:

<< يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ **لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ** وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا>>

تحليل الآية:

حكت هذه الآية في حال طلقت المرأة عن زوجها أين تكون عدتها؟، فنَهَى الله عزَّ وجلّ في هذه الآية عن إخراجها من بيت زوجها حتى تكتمل العدة، فمعنى «لا يخرجن ولا تُخرجوهن» هو نَهيٌّ لهن عن الخروج فإنّ المُطلِّق قد يُخرجها، فترغب المطلقة في الخروج لأنها تستثقل البقاء في بيت زالت عنه سيادتها فنَهَاهُنَّ الله عن الخروج، لأنَّها معتدّة لأجل زوجها"[1]، فَهُنَا نهْيٌ لصفة الخروج من البيت في وقت العدّة ثم استثنى منه «إلاّ أن يأتينَ بفاحشة؛ ويُقصد بالفاحشة التي عُرفت عند المفسرين بالزنا؛ ففي هذه الحالة الفاحشة أُسْنِدَتْ لمُبِينة مجازاً بمعنى إلاَّ إذا اِرتكبنَّ الفاحشة بالخروج يعني: أنّ مَنْ خرجت.. أتت بفاحشة"[2].

نوع الأسلوب: الضرب الأول.

أثره في الآية:

كان هذا الأسلوب في الآية لغرض المبالغة في النَّهي، ففي المبالغة في المعنى الخطابي الموجه للنّساء ومنعهن من الخروج بصيغة هذا الاستثناء، وممَّا يزيد إثبات النَّهي وتأكيده، وهو تحذير للأزواج الظلمة الذين يسيئونه إلى الزوج حالة الظلالة

[1]- التحرير والتنوير (مرجع سابق)، ج28، ص299.

[2]- حدائق الروح والريحان (مرجع سابق)، ج29، ص408.

سورة الجن:

آية 23:

<< **إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ** ۚ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا>>

تحليل الآية:

نزلت هذه الآية على حدّ قول ابن عاشور فيما أوحى الله به إلى رسوله صلى الله عليه وسلم مما خفي عليه من الشؤون المتعلقة به من إتّباع متابعين وإعراض معرضين ، ثم انتقل إلى تلقينه ما يُراد به على الذين أظهروا له العناد والتورك"[1]، فهذه الآية فيها أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم، فيرى ابن عاشور أن الاستثناء منقطع أي: «لا أملك لكم لا ضرا ولا رشدا إلا بلاغا» "لأنّ الضرّ والرشد صفتان منفيتان لأنّهما واقعان النّفي بالإلجاء"[2]، فاستثنى منه البلاغ «إلاّ بلاغا من اللهِ ورسالاتِهِ» أي: "بلاغا كائنا من جانب الله أي: إلاّ كلاما أبلغه من القرآن الموحى من الله"[3].

وهناك من يرى أنّ الاستثناء متصل في قوله: لا أملك لكم شيئا إلاّ بلاغا "أي إلاَّ بلاغا استثناء متصل من قوله: «لا املك لكم» أي: مِن مفعوله فإنّ التبليغ إرشادٌ ونفعٌ؛ بمعنى لا أملك لكم إرشاداً ولا هداية إلاّ تبليغا كائنا من الله سبحانه إليكم"[4].

ويحتمل احتمالا آخر وهو أنْ يكون الاستثناء من «ملتحدا» إذ يقول الزمخشري في هذا: "لن أجد من دونه منجياً إلاَّ أنْ أُبَلِّغَ بلاغا، إذْ أنّه نفى الاستطاعة عن نفسه جملة

---

[1]– التحرير والتنوير(مرجع سابق)، ج29، ص 241.

[2]– التحرير والتنوير، (مرجع سابق)، ج29 ، ص245.

[3]– التحرير والتنوير(مرجع نفسه)، نفس الصفحة.

[4]– حدائق الروح والريحان(مرجع سابق)، ج30، ص313.

اعتراضية للتأكيد لبيان عجزه وأن الله إذا أراد به شيء فعل"[1]؛ فيكون الاستثناء منقطعا لأن المستثنى فيه البلاغ خارج عن المستثنى وهو الملتحد.

نوع الأسلوب: الضرب الأول.

أثره الآية:

جاءت هذه الآية بأسلوب بلاغي لدلالة على تأكيد من الجهتين إذا كان الاستثناء منقطعا أمّا إذا كان متصلا فيكون التأكيد من جهة واحدة وهي كدعوى الشيء ببرهان، كما أن"فائدة الاستثناء المبالغة في توصيف نفسه لا تبليغ لدلالته على أنّه لا يدع التبليغ الذي يستطيعه لتظاهرهم على عدوانه."[2]

سورة البروج:

- آية 08:

<< **وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ** الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ>>

نوع الأسلوب: الضرب الثالث (استثناء مفرغ) ويحتمل الضرب الأول

تحليل الآية:

أي ما عابوا منهم وما نكروا إلاّ إيمانهم، فمعنى (وما نقموا) أي "وما نكروا، نقل عن الراغب أنه قال نقمت الشيء إذا أنكرته إمّا باللسان أو العقوبة"، استثناء مفرغ أي: وما نكروا شيئاً مِنَ الأشياء أو وصفاً من الأوصاف إلاّ إيمانهم"[3]، فهُنا نَفَى صفة الذم، فظنّ السامع أنّه سيأتي بعيب وبِذمّ آخر بعد الأداة، لكنّه استثنى من هذا العيب الإيمان وهو

[1]- ينظر: تفسير الكشاف (مرجع سابق)، ج29، ص1149

[2]- حدائق الروح والريحان(مرجع سابق)، ج30، 313.

[3]- ينظر: حاشية القونوي (مرجع سابق)، ج20، ص186

المصدر المؤول، فهنا باغته فجاء بصفة مدح حتى يؤكد مدح المؤمنين ويثبت نفي العيب، وقد يكون من الضرب الأول بدليل الزمخشري الذي استشهد واستدلّ "بقول النابغة: لا عيب فيهم غير أن سيوفهم... وكذلك قول قيس الرقيات: ما نقموا من بني أمية إلا أنهم يحملون إن غضبوا"[1].

نوع الأسلوب: الضرب الثالث.

أثره في الآية:

فالتأكيد فيه من جهة كدعوى الشيء ببينة لأنه "علق نقيض المدعي وإثبات شيء من العيب بالمحال ومعلق بالمحال محال فعدم العيب محقق جزما "[2]، كما أن أصل الاستثناء الاتصال لكنه قدر منقطعا ليؤكد مدح المؤمنين بإيمانهم بالله تعالى.

وما نخلص إليه في هذا المبحث أنّ ظاهرة تأكيد المدح بما يشبه الذم كانت بارزة في ثنايا القرآن العظيم، إذ كان لهذا الفن البلاغي آثار دلالية في نظم القرآن وسياقه، فرغم قلة الآيات إلاّ أنّ الخطاب القرآني صِيغ بأسلوب بلاغي معنوي له أغراض ومقاصد دلالية مما أضافت للقرآن العظيم دلالات تكشف المعنى وتوضح الأبعاد الدلالية الجمالية بواسطة هذا الأسلوب، فكان لهذا الفن دور بارز في الخطاب القرآني بأسلوبه المادح بطريقة مباغتة لها طرافة، حتى يصل للمعنى القرآني لدى السامع وذلك بلفت انتباهه وتأكيد المعنى له، حتى تدرك المعاني الخفية وبلطائف أسلوبية مباغتة تجعل السامع ينشط ويجمع كل انتباهه لِاستيعاب المعاني.

---

[1]– تفسير الكشاف(مرجع سابق)، ج30، ص1192.

[2]– حاشية القونوي (مرجع سابق)، ص 187.

خاتمة

خاتمة:

وفي ختام بحثنا المتواضع هذا الذي درسنا، فيه ظاهرة تأكيد المدح بما يشبه الذم، من خلال النماذج القرآنية التي فيها الأسلوب البلاغي، وقد توصلت إلى النتائج التالية:

– يُعتبر أسلوب تأكيد المدّح بِما يُشبه الذّم من الأساليب البديعية المعنوية التي لها أثر في تزيين الكلام وتحسينه.

–تعددت تسميات هذا المصطلح البلاغي بين العلماء إلاّ أنّ المعنى واحد، وهذا لدلالة على أنّ هذا الأسلوب كان متداولا عندهم وذلك لأهميته في سياق الكلام.

– يقوم أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم أساسا على الاستثناء، لأنّه المحور الرئيسي فيها بدليل وجود أركان الاستثناء في أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم.

– جاء هذا الأسلوب لمدح الممدوح من خلال الكلام الذي ظاهره ذم، وباطنه مدح وهو المقصود والمبتغى.

– اعتماد الخطاب القرآني على مثل هذه الأساليب لغرض بيان حكمته الإعجاز القرآني وإقناع السامع والتأثير فيه.

– تكمن أهمية هذا الأسلوب في الخطاب القرآني في الكشف عن دوره البارز عن المعنى البلاغي والجمالي للقرآن العظيم، من خلال المباغتة، وشحذ اِنتباه السامع.

– الآيات التي جاء بها حصر لأسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم كانت إمّا للبشرى بالنعيم لفئة مؤمنة صالحة، وإمّا إنذار وتحذير لفئة ضالة.

–يعتبر أسلوب المدح بما يشبه الذم نوعاُ من الإلتفات الأسلوبي الحاث على شحذ ذهن السامع وإثارة إنتباهه لكشف لمعاني الدقيقة التي يزخر بها الأسلوب القرآني.

عذرا أساتذتي الأفاضل، فإنْ أصبت فبتوفيق من الله، وإنْ أخطأتُ فمن جهلي.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

قائمة المصادر والمراجع

الفهرس

الفهرس

مقدمة: .....أ-د

الفصل الأول: تأكيد المدح بما يشبه الذم(المفهوم والبلاغة).....06

تمهيد.....06

المبحث الأول: مفهوم ظاهرة تأكيد المدح بما يشبه الذم.....07

أولا: تعريف التأكيد والمدح والذم لغة.....07-09

ثانيا: تعريف ظاهرة تأيد المدح بما يشبه الذم اصطلاحا.....10

أ: ماهيته.....10-11

ب: تسميته.....12-13

ثالثا: أنواع تأكيد المدح بما يشبه الذم.....14

أ: الضرب الأول: أن يستثنى من صفة ذّم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها في صفة الذمّ.....14-18

ب: الضرب الثاني: أن يستثني صفة مدح ويعقب بأداة استثناء ويليها صفة مدح أخرى.....19-20

ت: الضرب الثالث: استثناء المفرغ.....21-23

رابعا: شروطه.....24-26

المبحث الثاني: بلاغة تأكيد المدح بما يشبه الذم.....27-30

الفصل الثاني: دراسة ظاهرة تأكيد المدح بما يشبه الذم.....32

تمهيد.....32

المبحث الأول: استخراج النماذج القرآنية وتوضيح مواطن ظاهرة تأيد المدح بما يشبه الذم.....34-38

المبحث الثاني: تحليل الآثار الدلالية للظاهرة وبلاغتها في المعاني القرآنية...38-56

خاتمة.....61-62

قائمة المصادر والمراجع.....62-66

فهرس الموضوعات.....68-69